من الأسطورة إلى الفكر الديني ، تضمين في النص وتأثير في المعنى

أ.م.د خميس غربي حسين جامعة تكريت/كلية الآداب

ملخص البحث

من المعلوم أن انتقال الأسطورة إلى النص الديني يعد حلقة مهمة ضمن تاريخ الإنسانية ، وهذا ما نجده واضحاً ومنذ ظهور الملامح الأولى للدين في تفكير الإنسان , بل إننا نرى أن بزوغ فجر الديانات لم يكن ليرتكز إلا على الأسطورة .

إن دراستنا للعلاقة بين الأسطورة والدين من خلال المنظور الذي سوف نقدمه في هذا البحث , فيه تطلع إلى فهم التفكير الإنساني عبر التاريخ , لقد سيطر الفكر الأسطوري على تفكير الإنسان ردحاً من الزمن , ولأن الأسطورة في معناها ، تفسير وتأويل لشعائر وطقوس دينية يستطيع الإنسان تطويع الأفكار الغيبية من خلال دمجها مع النص الديني لأن في الأسطورة تصورات تتجاوز العقل الواعي , وهي في معظمها حكايات أو روايات منسوجة عن الآلهة والقوى الغيبية , من هنا , ليس من الصعب إثبات التداخل بين الأسطورة والنص الديني باعتبار الأسطورة تمثل القاعدة الفكرية والمرجعية التي تبنى عليها الأفكار الدينية .

Abstract

from Legend to religious ideology

Assistant Teacher Dr. Khamees Gharbi Hussein

Tikrit University/ College of Arts

It is well-known that the link or connection between legends and religion is considered an important part of human history. This is made clear ever since the first days in which

religion began to impact human thought. Moreover, we find that the appearance of religion had been based on legends exclusively.

Our study of the relation between legends and religion, according to the view presented in this paper, aims to reach an understanding of human beliefs throughout history. Legendry thoughts had controlled human beliefs for a period of time. Legends, for instance, are defined as an interpretation of religious customs and rituals wherein humans confirm metaphysical thoughts by blending them with religion. All this is due to the fact that legends carry within them assumptions that are beyond consciousness. Furthermore, most of them are tales made up about gods and atypical forces. From here, it is not difficult to prove the connection between legends and religious thinking, in which legends form a base and foundation for these religious beliefs .

من الأسطورة إلى الفكر الديني , تضمين في النص وتأثير في المعنى

المقدمة

منذ بدأ الإنسان تصوراته الأولى عن الحياة والكون والمظاهر الطبيعية في محاولة لإيجاد سبباً لنشأتها , ولما عجز عن تفسير الكثير من هذه الظواهر لجأ إلى الفكر الأسطوري لإيجاد توضيح لهذه التصورات , وارتبطت ولادة الأساطير بحاجة نفسية وروحية واجتماعية آمن بها الإنسان في محطات تاريخية معينة ليتمكن من خلالها تفسير عدد من المظاهر الكونية وأسباب نشأة الخلق , والموت , ووجوده وكل ذلك من أجل إعادة التوازن الداخلي في حياته ، وكانت الأساطير بالنسبة للقدماء واقعاً حقيقاً لا يرقى إليها شك , وعبر الأساطير استطاعوا فهم معظم الظواهر الغامضة , وبمساعدة الأساطير اختبر هؤلاء العالم

المحيط بهم , وحاولوا أن يفهموا كنهه ويعبروا عنه بالكلمة والرسم والصوت , وغير ذلك من الوسائل والأدوات المعرفية المتوافرة لديهم .

كذلك ارتبط المفهوم الديني في مرحلة مبكرة من التاريخ بالأسطورة , وقلما نجد نصا دينًيا يخلو في كينونته من البعد الأسطوري في التضمين نصياً أو التأثير في المعنى , وقد اتصفت الأسطورة بتنوع مضامينها وأهدافها ، التي غالباً ما تطغى عليها الرمزية والحدس والمجاز وهي بذلك تتوافق مع الفكر الديني وهكذا نجد أن معظم القصص الدينية تكتسي بملامح أسطورية تتضمنها بعد أن تأخذ منها ما يلائم هدفها وغايتها , وعلى هذا , فإن الأسطورة هنا تدخل في صلب بناء المنظومة الدينية المبنية على تصورات ميتافيزيقية معينة تتوافق مع الحقبة الزمنية التي ظهرت فيها تلك الأساطير , على اعتبار أن القياسات الزمنية للأحداث التاريخية هي التي تحدد طبيعة الفعل التاريخي , وعلى هذا المنوال ، فإن الإنسان عندما حاول كشف الحقائق عن الحياة والبدايات والتعرف على ظواهر الكون , كانت وسيلته إلى ذلك السحر , يتبين ذلك من الأعمال الفنية التي تركها على جدران الكهوف وهي تبين لنا أفكاره الأولى عن سر الحياة والممات , وقد تجسدت هذه الأفكار واضحة من خلال ممارسته السحرية الموثقة برسوماته التي تظهر أولى أفكار الإنسان السحرية , على أن السحر بعد تطور تفكير الإنسان وتقدم وسائله المعرفية لم يعد يمتلك الإجابات الشافية لأسئلة جديدة بدأت تلح على تفكير الإنسان , مما دفعه ذلك إلى الفكر الأسطوري , مفترضاً وجود قوى خارقة وراء المظاهر الموجودة في الكون , قوى إلهية , ولا بد أن يكون العالم تبدياً مادياً لتلك الطاقة الإلهية .

ومما تجدر الإشارة إليه , أن الفكر الأسطوري قد سيطر على تفكير الإنسان ردحاً من الزمن , وأن الأسطورة في معناها ، تفسير وتأويل لشعائر وطقوس دينية يستطيع الإنسان تطويع الأفكار الغيبية من خلال دمجها مع النص الديني لأن في الأسطورة تصورات تتجاوز العقل الواعي , وهي في معظمها حكايات أو روايات منسوجة عن الآلهة والقوى الغيبية , من هنا , ليس من الصعب إثبات التداخل بين الأسطورة والنص الديني باعتبار الأسطورة تمثل القاعدة الفكرية والمرجعية التي تبنى عليها الأفكار الدينية .

تعتمد الأسطورة في تقنياتها على استخدام الظلال السحرية للكلمات , لأن الكلمات وفي أي لغة ذات وجهين , وجه دلالي يرتبط بالمعاني المباشرة للمسميات , ووجه آخر سحري متلون بظلال متدرجة بين الخفاء والوضوح قادرة على الإيحاء بمعان غير مباشرة واستثارة مشاعر وأهواء كثيرة[١] , ولأن المفاهيم الميتافيزيقية قديماً لم تكن مصوغة دائماً في لغة نظرية , وإنما كان الرمز هو الوسيلة المعبرة عن الموقف من الكون[٢] ، لذلك فقد سيطرت الأسطورة على المعتقدات الدينية , مما يدفعنا للقول , أن الإنسان لما بدأ يبحث عن أصل الأشياء وجد أصلاً أسطورياً ولم يجد أصلاً تاريخياً .

ويمكن الإشارة هنا , إلى أن الأسطورة هي شكلٌ من أشكال الأدب الرفيع , وهي قصة تحكمها قواعد السرد القصصي من حبكة وشخصيات وما إليها , وفي الثقافات العليا جرت العادة أن يصاغ النص الأسطوري في قالب شعري يساعد على ترتيله وتداوله شفهياً بين الأفراد , وعبر الأجيال , ويزوده بسلطان على العواطف والقلوب[٣] , وعلى غرار ذلك فإن الأسطورة تتوافق مع الدين , لأن النصوص الدينية ، عادةً ، تصاغ بأسلوب شاعري يلامس المشاعر والأحاسيس , ((لأن الدين والأسطورة هو تصور لا يمكن تصوره , وقول ما لا يمكن التعبير عنه ؛ إنه توق إلى اللانهائي))[٤] .

وفي الحقيقة ، إن الأسطورة لا تبدأ إلاَّ عندما نكوّن تلك الصورة المحددة عن الآلهة , بل عندما نعزو لهذه الآلهة بداية محددة في الزمن , وعندما تباشر هذه الآلهة فعالياتها وتنبئ عن وجودها في سياق زمني هو بالتحديد تاريخ وجودها ؛ ولما تعمق (أرنست كاسيرر) في دراسته للأسطورة أعطاها الأسبقية الأولى على التاريخ , واستند في ذلك على أنه ليس للزمن الأسطوري مبنى محدد وإنما هو زمن أزلي[٥] , وفي ذالك تفسير العالم المحيط كما لو كان جزءاً من الإنسان يندمج به ، كذلك دراسة العلاقات بين الظواهر الواقعية , والظواهر المتوقعة , ولذلك فإن الفكر الأسطوري يقدم تصورات غيبية ميتافيزيقية لتدعم الواقع الذي نفكر به[٦] .

وبلا ريب , أن الأساطير كانت تمثل للإنسان في تلك الحقبة التاريخية البعد التثقيفي _ التربوي , وهي في الوقت نفسه كانت تعطي صورة عن العالم عندما كان الفكر ما يزال غير قادر على التمييز بين الواقع الذاتي والموضوعي ، ومن الثابت أن الأساطير في أشكالها ومضمونها مرتبطة على وجه العموم بتطور العقل والحضارة الإنسانية ، كما أنها تمثل تطور النفس البشرية والصراعات التي تعتلج بها[٧] , ومن هذا المنطلق ، يمكن القول إن الفكر الأسطوري في معظم رؤاه وتطلعاته كان استجابة لا شعورية لحاجات الإنسان , التي هي بجوهرها مماثلة للحاجات الروحية البشرية في كل زمان ومكان .

إن انتقال الأسطورة إلى النص الديني يعد حلقة مهمة ضمن تاريخ الإنسانية ، وهذا ما نجده واضحاً ومنذ ظهور الملامح الأولى للدين في تفكير الإنسان , بل إننا نرى أن بزوغ فجر الديانات لم يكن ليرتكز إلا على الأسطورة ... وإن دراستنا للعلاقة بين الأسطورة والدين من خلال المنظور الذي سوف نقدمه في هذا البحث , فيه تطلع إلى فهم التفكير الإنساني عبر التاريخ , وهذا يعني دراسة الماضي من أجل فهم الحاضر وما يدور فيه من صراعات مختلفة ربما يبنى قسم منها على البعد الأسطوري في تفكير عدد من ساسة العالم مما أدى إلى نشوب الصراعات الدامية التي كان الإنسان ضحيتها , والتي ربما يخبئ التاريخ المستقبلي للإنسانية مثلها , ومن ذلك يبقى ديدن الباحث هو دراسة الماضي من أجل فهم الحاضر واستشراف المستقبل , وهذا جزء من مهمة المتعلمين والمثقفين ورواد الفكر الإنساني الحر .

كان محور هذا البحث دراسة أثر الأسطورة في النص الديني , من التضمين في النص إلى الانتقال في المعنى , وهو محاولة هدفها كشف الترابط والتداخل بين الأسطورة والدين ومدى التأثر والتأثير بينهما . وهنا أريد الفت النظر إلى مسألة تتعلق بأهداف هذا البحث , وهي دراسة هذا العنوان دراسة تاريخية علمية أكاديمية الغاية منها تأصيل فكرة تاريخية اجتماعية في سياق تفكير المجتمع البشري , ولا نقصد هنا بالتحديد الإساءة إلى معتقد , أو مذهب , أو دين بنفسه . **وفق هذا الإطار , وهذا التمهيد , تجيء هذه الأوراق كي نقدم من خلالها دراسة مفاهيمية تقتحم المفهوم الأسطوري وتدرس تأثيره على الفكر الدين , ويأتي هذا الفهم وفق منهج تاريخي تحليلي معتمداً على استقراء عدد من الأساطير وبيان علاقتها وتأثيرها سواء كان ذلك الانتقال حاصل بصورة مباشرة (نصياً) , أو بالمعنى .**

لقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه على أربعة مباحث سبقتها مقدمة ثم انتهى البحث إلى خاتمة , أما المقدمة فقد تناولنا فيها أهمية الموضوع مع بيان بداية التفكير الأسطوري عند الإنسان , وتناول المبحث الأول علاقة الأسطورة بالدين وحددنا فيه التأثيرات الأولى للأسطورة على الدين وانتقال الكثير من الأفكار الأسطورية إليه , وخصص المبحث الثاني للحديث عن دراسة مفهوم كلٍ من الأسطورة والدين والمعاني والدلالات لهذين المفهومين , ودرسنا في المبحث الثالث عن العلاقة المباشرة بين الأسطورة والدين , وكرس المبحث الرابع الموسوم من الأسطورة إلى الدين تداخل وتأثير ، وفيه شرح لانتقال عدد من الأساطير إلى الدين وبشكل مختصر وتم اختيار عدد من النصوص بشكل انتقائي ، وكانت الخاتمة تلخيص لأهم النتائج التي توصلنا إليها في البحث .

المبحث الأول : الأسطورة والدين , البدايات الأولى .

لقد رافق النص الأسطوري مختلف الديانات ومنذ النشأة الأولى للتدين عند الإنسان , ورافق تفكير تلك الشعوب المؤمنة بهذه الديانات , ونجد أن النص الأسطوري من الأسس التي شكلت مضمون ومحتوى هذه الديانات , ولذلك تعد الأسطورة مكوناً أساسياً لها , وللتأكيد على تداخل النص الأسطوري مع النص المقدس نجد أن القصص الواردة في الكتب الدينية المقدسة تكاد تتشابه إلى حد كبير , ويصار إلى التعبير عنها بمصطلح أساطير الأولين ، ففي فكرة الخلق تداخل ملحوظ بين الأسطورة والنص الديني كما في الأساطير السومرية والبابلية ونظيرها في الديانة اليهودية والمسيحية , أما الإسلام فقد أثبت بعض ما أوردته الأساطير , وقدَّمه في صيغة مختلفة تماماً مرجعاً إياه على أصله السماوي القديم .

وعلى سبيل المثال , نجد أن التداخل ظاهرٌ في قصة الطوفان التوراتية وملحمة جلجامش , يظهر ذلك من الحوار الذي دار بين رجل الطوفان (أوتنابشتم) عندما التقاه جلجامش طالباً منه المساعدة في الحصول على الخلود كما يظهر ذلك في الأسطورة السومرية , لقد بدأ يحدثه كيف أنه صنع سفينة أنقذ بها البشرية

من الفناء حتى اجتمعت الآلهة لتكافئه على فعلته هذه بأن منحته الخلود ((هنا يبدأ رجل الطوفان بالحديث عن الطوفان العظيم الذي غمر الأرض , والذي تشبهه في تفاصيله القصة التوراتية , وكيف أنه استطاع إنقاذ البشرية من الفناء بسفينة رست في النهاية على جبل أسمه نيسير))[٨] .

إن شيوع أسطورة الطوفان نجد لها تأثير في المعنى , أو تداخلاً نصياً في الكثير من المعتقدات والديانات التي شاعت في المنطقة , وهي على ذلك تقدم لنا الخطوط العريضة لكل قصص الطوفان اللاحقة في بابل وسورية وبلاد الإغريق , وفي كتاب التوراة أيضاً[٩] , ويكون المحور الأساسي في هذه الأسطورة هو تصميم الآلهة على هلاك البشرية بسبب الآثام والأخطاء التي ارتكبها والوسيلة إحداث الطوفان[١٠] , وهو يأتي غالباً عقوبةً للإنسان نتيجة تمرده على الآلهة[١١] , وهذا السبب المباشر للطوفان نجده كذلك في الديانات الوضعية والسماوية , ومن المثير للتأمل أن أسطورة الدمار الشامل شائعة في أماكن متفرقة من العالم , وبين شعوب لا يربط بينها مكان أو زمان[١٢] .

وفي أسطورة دموزي وانكيدو , وهي أسطورة سومرية لها أهميتها نجد أن عدداً من نصوصها قد تسربت إلى الفكر الديني السماوي وكان لها صدى في قصة (قابيل وهابيل) التي ذكرتها التوراة ولكن بدون نهايتها المفجعة[١٣] , وهي على غرار قصة هابيل وقابيل تشير إلى الصراع القديم بين النمط الزراعي والرعوي .

وإذ عدنا إلى التضمين النصي والتأثير بين الأسطورة والدين يظهر أن الأسطورة تنشأ عن المعتقد الديني , وتكون بمثابة امتداد طبيعي له[١٤] , وهي تعمل على توضيحه وإغنائه , وتثبته في صيغ تساعد على حفظه وعلى تداوله بين الأجيال , وكذلك تزوده بالجانب الخيالي الذي يربطه بالعواطف والانفعالات الإنسانية[١٥] . من هنا ذهب (فراس السواح) إلى القول : ((إن تاريخ الدين والأسطورة هو تاريخ صراع الذات مع الموت , ففي المراحل الأولى كانت الذات مسحوقة تجاه الموت))[١٦] , هكذا هي الأسطورة بارتباطها بالنص الديني , هي دائماً , إما تقدم تأويلات مباشرة للكائنات الحية والشخصيات , أو تتحدث عن الكون بطريقة يغدو معها ممكناً رؤية وجهة نظرها الموحية بذلك[١٧] .

كانت الأساطير موجودة عند الشعوب كلها , بل أنها كانت تاريخاً للشعوب , ولكن ليس تاريخها العادي وإنما تاريخها المقدس , لأن الآلهة خلقتها في الأزمنة الغابرة , وعندما انتهى العصر البدائي انتقلت المجتمعات البشرية إلى الحضارات الزراعية , ولكن الأساطير لم تندثر وبقي كثير منها يواصل حياته وأن في صيغة مختلفة , بل أن قسماً منها بقى حتى أيامنا هذه[١٨] ، مما يدل على أثر الأساطير ودورها المهم في تكوين نسق فكري عند الإنسان قائمٌ على التصورات الغيبية للحياة .

إن الباحث في بنية المجتمع الإنساني الذهنية والثقافية قديماً سيكتشف النسيج الأسطوري لهذه البنية , إذ اجتمع في ثقافته الفكر الأسطوري الذي تتشابك فيه المثيولوجيا مع الفلسفة والسحر والدين[١٩] , وهذا لا يدع مجالاً للشك أن الأساطير كونت ذهنية الإنسان في بداية تلمسه طريق الهداية , لا سيما في مجال التفكير الديني , وبعبارة أخرى يمكن القول : إن ذلك الإنسان البدائي لم يجد أمامه سبيلاً للتفكير في مجمل ما يحيطه من مظاهر الكون إلاَّ باللجوء إلى الأسطورة , وهكذا نجد التوظيف الأسطوري في مجال الدين , ومن هنا أصبح الانتقال والتأثير والتداخل واضحاً بين الأسطورة والنص الديني .

وقد تتخذ القصص الدينية ملامح أسطورية في الأفكار التي تتضمّنها ، بعد أن تأخذ منها ما يفيدها , وقد تأخذ القصص الأسطورية طريقها إلى النص الديني كما في مجمل قصص الخلق والكون والإنسان , ويغلب الظن على أنَّ الجانب الروحي المختفي وراء الأسطورة هو الذي يقربها من الدين ، لا سيما عندما تحمل الأسطورة مجموعة من الدلالات الدينية التي يعرفها كلّ من يؤمن بها ، وبذا تغدو الأسطورة المنجز المعرفي الروحي للدين ، وصولاً إلى ظهور طقوس شكّلت الدين فيما بعد .

وبسبب ما تقدم , فقد أصبح التناص والتأثير بين الأسطورة والدين أمراً واضحاً , لأن الأساطير لم توجد في حالة عزلة عن حياة الإنسان بل أن الإنسان وضعها كي يكون هناك توازن بين الغامض المجهول الذي يقف عاجزاً عن تطويعه أو تفسيره وفق منطقه في تلك الحقبة , وبين الواقع الذي يعيشه , مما لجأ إلى الفكر الأسطوري لذلك نجد أن العديد من المعتقدات الدينية لها جذراً أسطورياً .

ولا ريب أن المجتمعات البدائية في مرحلة تكوّن الأساطير كانت تملك نوعاً من الإيمان الفطري ووحدة العقيدة ، ثم غدتْ الأسطورة مع تطوّر المجتمعات تعبيراً عن مختلف الأفكار السياسية والاجتماعية والأخلاقية والفلسفية ؛ وبعبارة أخرى ، فإن الأسطورة تروي لنا تاريخاً مقدساً , بفضل مآثر اقترحتها الكائنات العليا , لا فرق أن تكون هذه الحقيقة كلية كالكون مثلاً , أو جزئية , كأن تكون جزيرة أو نوعاً من النبات , أو مؤسسة إذ هي دائماً سرد لعملية الخلق[٢٠] , وفي ضوء ذلك , أكَّدت كثير من الدراسات المثيولوجية بأنه لا يمكن فهم الإلياذة مثلاً على أفضل وجه ، إلاّ بالنظر إليها على أنّها رواية لتاريخ مقدّس , إذ إنّ اليونانيين أخذوا أساطيرهم بجدية ؛ لأنّهم آمنوا بأنّ الآلهة مسيطرة على القوى الطبيعية ، ولذلك بدؤوا يتوسلون إليها ، ويدعونها لتبعث لهم الخير ، وتبعد عنهم الشر ، مما دفعهم ذلك لتقديم القرابين لها ، ونظم أجمل الأغاني مادحين فيها .

ومن نافلة القول أن نشير هنا إلى رأي (فراس السَّواح) عندما بين أن القوى الإلهية التي اعتقد بها قديماً تشبه الإنسان , فهي لم تكن قوة مطلقة لا ينتابها وهن أو قصور , إنما كانت كقوة الإنسان تتطلب سنداً ومدداً دورياً لتجدد نفسها كلما آنست ضعفاً[٢١] , وضرب لنا مثلاً أن أعياد رأس السنة البابلية لم

تكن سوى طقوس تهدف إلى شحن الطاقة الإلهية أمام قوى العماء الأولى التي تحاول إعادة الكون إلى سكونه القديم ، كذلك طائر الفينق الخرافي الذي كان يحرق نفسه كلما آنس ضعفاً , والإله مردوخ يمضي إلى النار المطهرة ليشحذ ما وهن من قواه بسبب شيخوخته بتقادم العمر[٢٢] .

وعلى هذا يبدو أن الإنسان كان مضطراً لاتخاذ رموزٍ وأشكالٍ عدَّها بمثابة المفاتيح الأولى للتفكير الديني وهي بمجملها كانت صدى للتفكير الأسطوري , واستطاع بذلك تحويل الغامض المبهم إلى شيء يتوافق مع تفكيره أو التطور الذهني الذي وصل إليه , وبهذا الاكتشاف تمكن الإنسان أن يجد الإجابة المناسبة للكثير من التساؤلات الغامضة التي أحاطت به ؛ ولم يجد لها الأجوبة المناسبة إلاَّ بتعليل نفسه من خلال الأسطورة بأن هناك قوى خفية تدبر وتسير حياته , كما الحلم , وتكمن أهميتها في تقديمها حكايات تشرح بلغة الرمز حشداً من الأفكار الدينية والفلسفية والأخلاقية[٢٣] .

إن الممارسات السحرية , لم تكن لدى الإنسان البدائي شعوذةً أو دجلاً وإنما هي نتيجة ملاحظاته الدقيقة لمظاهر الكون والطبيعة التي أوحت له أنه قد أكتشف سراً في الحياة , وأن الكون حي , وجسَّم قواه المتعددة في الآلهة[٢٤] ، وبعد اكتشاف الزراعة بدأت الأساطير تؤثر في حياة الإنسان , لأن مع اكتشاف الزراعة حصلت زيادة في الموارد الغذائية[٢٥] ، واستقر الإنسان في تجمعات سكنية وبدأ ينعم بالعيش الرغيد ، مما دفعه هذا أن يفكر في الكيفية التي يحصل على الخلود ويجابه الموت .

من المعلوم أن الأساطير تنتقل من جيل إلى جيل ، ومن شعب إلى شعب ، لتوثق حياة المجتمع بمختلف جوانبها , وبهذا , فإن الأساطير تسهم في عملية التواصل والتأثير , وهي كذلك تؤدي دوراً في استمرار التطور الحضاري , لذا نجد معظم الأساطير التي وجدت مدونة في عصر الآشوريين لها أصولها في عصور الحضارات السومرية والأكدية والبابلية[٢٦] , والشيء نفسه يقال بالنسبة للأساطير العبرانية والإغريقية والرومانية , ولم يطرأ تبدل جوهري على هذه الأساطير خلال عهود انتقالها سوى تبدل بعض أسماء الآلهة وتحوير طفيف في مجرى أحداث الأسطورة[٢٧] .

والقول السابق نفسه يمكن أن ينطبق على تحول النص الأسطوري إلى الديانات بمختلف توجهاتها , ذلك إننا نجد للأسطورة حضوراً في النص الديني , متمثلاً بالتضمين نصياً , أو التأثير بالمعنى المرسل فيها , ونحن نجد العناصر الأسطورية نفسها يتم دمجها مع النص الديني أحيانا وهكذا يتم التداخل بينهما , وهذا الكلام يصح على الأقوام البدائية الوثنية مثلما يصح على الأقوام التي بدأت تلمس الهداية إلى الديانات السماوية الأخرى .

وعلى هذا المفهوم ترى الأستاذة (مرسيا الياد) أن ما وصل إليه الفكر الإنساني من تطور إنما كان في الأصل ((مجموعة من الأساطير تروي لنا ما حدث عند الإنسان , وأن الوجود الحقيقي يبدأ في اللحظة التي يطلع فيها الإنسان على هذا التاريخ البدائي ويسلم بنتائجه))[٢٨] ، وهذا كله نابع من رغبة الإنسان في تقديم شروح للظواهر التي تحيط به , ومحاولته إيجاد تسويغ مناسب لها كي يرضي نفسه على أقل احتمال , وهذا ما يجذب الناس بشكل عفوي مباشر ومستحب وفضولي للاستطلاع ومعرفة أصول الأشياء بأسلوب رمزي أسطوري[٢٩] .

المبحث الثاني : الأسطورة والدين , دراسة في المعنى .

من الصعوبة صياغة تعريف واحد لمعنى الأسطورة من شأنه إرضاء كل الآراء المتصارعة حول هذا المفهوم , إذ لم يختلف العلماء والباحثون والمفكرون بقدر ما اختلفوا في تعريف الأسطورة وتحديد أصلها ومضمونها[٣٠] , ويبدو أن هذه المفردة من أكثر الكلمات إثارة للغموض والإبهام بسبب من تداخل معانيها ودلالاتها المختلفة , في الزمان والمكان , فضلاً عن ذلك , فإن مفهوم الأسطورة يتداخل بشكل كبير مع الأشكال القصصية الأخرى , كالحكاية الشعبية والخرافة والفلكلور والملحمة , ومن هنا بات تعريف الأسطورة وتحديد معناها من الأمور التي تصعب الإحاطة بجميع جوانبها ومكوناتها وأبعادها . لقد ذهب (كلود ليفي شتراوس) إلى الاعتقاد بأن دراسة الأساطير تقودنا إلى استنتاجات ربما تكون متناقضة , ((لأن في الأسطورة متسعاً لحصول أي شيء ويبدو أن تتابع الأحداث فيها لا يخضع لأية قاعدة من قواعد المنطق أو قواعد التواصل ... ومهما قلبت الأساطير على أوجهها , يبدو أنها تظل مقتصرة على كونها لعباً مجانية أو شكلاً أولياً من أشكال النظر الفلسفي))[٣١] .

ولأن الإنسان قديماً كان يعتقد بأن الكون وما يعيش فيه موكول أمره إلى كائنات حية لكنها تتميز عنه بتفوقها جسدياً وفكرياً ولا ينال منهم الموت , وهم يديرون دفة العالم ويتحكمون بمصيره وفق خطوط رسمت بعناية هذه المخلوقات التي تسمى آلهة[٣٢] , وهذه الآلهة وفق الأساطير القديمة لها وظائف فهناك آلهة مسؤولة عن السماء وأخرى عن الأرض والهواء والبحار والأنهار والزراعة والصحة , وآلهة موكول لها أمر الشمس والقمر والنجوم[٣٣] , وليس من الصعوبة إدراك فعل هذه الأساطير وانتقالها وتداخلها وتحولها إلى النص الديني لاحقاً .

ويبدو لنا , أنه لا يمكن إهمال أثر الأساطير في صياغة محتوى الفكر الديني والتداخل والتأثير فيه وتحول الأسطورة من مهادها الفني والأدبي إلى مجال التأثير والانتقال وتأطير النصوص الدينية , مما يظهر التداخل بين الأسطورة والدين .

لم يتوصل الدارسون للأسطورة إلى تعريف محدد وجامع لها , ((فقد رأى بعضهم في الأسطورة حكايات عن كائنات تتجاوز تصورات العقل الموضوعي))[٣٤] , واستنتج (فراس السَّواح) بعد إطلاعه على عدد من المعاجم اللغوية العربية أن كلمة الأسطورة قد جاءت من السطر وهو الخط أو الكتابة[٣٥] .

في حين يثبت لنا القرآن الكريم علاقة كلمة الأسطورة في اللغة العربية بالتصورات الدينية والاعتقادية[٣٦] , وفي الآية ما يشير إلى ذلك , قال تعالى : ((وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا))[٣٧] ، وفي اللغة العربية جاءت كلمة الأسطورة اشتقاقاً من (سَطَّرَ) , أي ألَّف الأحاديث العجيبة والأقاويل المنمقة المزخرفة التي لا نظام لها[٣٨] .

وفي اللغات الأوربية ,كلمة (**myth**) في الانكليزية والفرنسية وغيرها , مشتقة من الأصل اليوناني (**muthas**) وتعني قصة أو حكاية , وكان أفلاطون أول من استخدم تعبير (**mutholgicl**) للدلالة على فن رواية القصص , وبشكل خاص ذلك الذي ندعوه اليوم بالأساطير , ومن هنا جاء تعبير (**mythmlogy**) المستخدم في اللغات الأوربية الحديثة[٣٩] .

إن منطق الفكر الأسطوري يعبر عن حالة من اللاوعي لمشكلة ما وذلك بما يحمله من الأجوبة والتفسيرات والحلول , وهو يتطور حين يتناول موضوعات لا تدركها التجارب الواقعية للحياة المباشرة كالسماوات مثلاً , أو العالم السفلي , غير انه فكر لا يعرف المقاييس الموضوعية وإنما يكون عاطفياً وحسياً للقيم[٤٠] . وعلى هذا فأن الأسطورة تتمرد أحياناً على التحديد الزماني بسبب الخاصية التجريدية التي يتميز بها الزمان مقارنة مع المكان , لذلك كانت الأسطورية تنسب عادة إلى الزمن البدائي الذي لا يحدد بأي مقياس[٤١] .

ترتبط الأسطورة بنظام ديني معين , وقد تحتوي مجموعة من أساطير الخلق على عناصر نفسانية كثيرة , وقد تحتوي مجموعة من الأساطير على عناصر تاريخية , كأسطورة الطوفان البابلية ، وأسطورة جلجامش , وأن لطبيعة الإنتاج الاقتصادي هو الآخر أثراً على مضمون وصياغة الأسطورة[٤٢] .

ولكن الأساطير تختلف باختلاف الناس الذين ينسجونها , وبرغم ذلك الاختلاف فإن الأساطير كلها تشترك في شيء واحد هو أنها كتبت باللغة الرمزية لتعبر عن خبرات وتجارب داخلية نفسية من المشاعر والأفكار , وتضم ملاحظات حسية وحوادث عديدة[٤٣] . وقد تمثل الأسطورة بعداً فكرياً وروحياً للأشكال الأولى من الحضارة الإنسانية .

لم يكن ظهور الأسطورة عند مختلف الشعوب إلاَّ حاجة فرضتها طبيعة العيش وتطور الفكر الإنساني , ولا شك أن جوهر الأسطورة وبؤرتها الحقيقة تكمن في أساطير الخليقة والنشوء , وهي تشير إلى الأول

دائماً , الكون والعالم الأول , الآلهة الأولى , لذلك تؤجج الأسطورة الشوق إلى معرفة الأصول , وهو شوق أصيل في الروح الإنسانية , سواء كان ذلك المحكي عن الكون أو الطبيعة أو الإنسان[٤٤] ، وتتميز موضوعات الأسطورة بالجدية والشمولية , وهي تدور حول المسائل الكبرى التي ألحت دوماً على فكر الإنسان , وكانت تعني بادئ ذي بدء الرواية الحقيقة عن الأحداث الأولى المقدسة[٤٥] .

وعلى هذا يرى (آرثر كورتل) : ((إن الأسطورة في المجتمعات البدائية في تركيبها الأصلي الحي ليست قصة بل هي حقيقة تعاش ومن خلالها يتم التعبير عن الحياة الاعتيادية ، والقدر ، وأعمال الإنسان , وهو اعتراف بالحلقة التي تربط الماضي بالحاضر وتأثير الأسطورة في الحياة العادية))[٤٦] , وقد كانت المثيولوجيا الأولى المبنية على الأساطير هي أساس تفسير ظواهر الكون والحياة وبأسلوب يطغى عليه الخيال , ولكن ما لبثت دائرة الخيال تضيق لصالح العقل مع الزمن[٤٧] . ومن الجدير ذكره هنا أن الأسطورة ليست في مجملها نتاج الخيال المجرد , بل هي ترجمة لملاحظات واقعية ورصد لحوادث جارية , وعبرها انتقلت إلينا تجارب الأولين وخبراتهم المباشرة[٤٨] .

إلى جانب ذلك يؤكد (فراس السَّواح) على أن الأسطورة ((حكاية مقدسة , يلعب أدوارها الآلهة وأنصاف الآلهة , أحداثها ليست مصنوعة أو متخيلة , بل وقائع حصلت في الأزمنة الأولى المقدسة , إنها سجل أفعال الآلهة , تلك الأفعال التي أخرجت الكون من لجة العماء , ووطدت نظام كل شيء قائم , ووضعت صيغة أولية لكل الأمور الجارية في عالم البشر , فهي معتقد راسخ والكفر به فقدان الشخص لكل القيم التي تشده إلى جماعته))[٤٩] .

والأسطورة عادةً ما تكون ظاهرة جمعية , لأنها ليست خيال فردي أو حكمة شخصية , بل أنها تعبر عن تأملات الجماعة وحكمتها وخلاصة ثقافتها , ولا يمنع هذا الطابع الجمعي أن يقوم الأفراد بإعادة صياغة الحكايات الأسطورية وفق صنعة أدبية تتماشى وروح عصرهم[٥٠] , على شرط أن يكون لعامل البيئة دورٌ رئيسٌ في تولد الفكر الأسطوري , فالإيقاع الكوني الليل والنهار ، وتعاقب الفصول الأربعة , كل هذا ينعكس في ذهنية الإنسان القديم مما دعاه إلى تكوين الأساطير[٥١] , وهي إجابات لأسئلة كثيراً ما كانت تلح على مخيلته .

وإذا كان الفكر الأسطوري بمعظمه يجمع ويلازم ما بين الفكر والخيال , فإن جميع الشعوب في مرحلة من مراحل تطورها حاكت لنفسها أساطير , أي حكايات مدهشة مقدسة تلعب أدوارها الآلهة ممثلين شخصيات الأسطورة[٥٢] , والأسطورة والحال كذلك , لم يكن ظهورها للمتعة النفسية فقط , بل يورد من خلالها آراء وحقائق ميتافيزيقية , لذلك نلحظ أن الإنسان القديم كان يلجأ أحياناً إلى الخيال المولد للأسطورة من أجل تفسير ظواهر الكون والوجود , على إننا يجب أن لا ننفي اعتقاد ذلك الإنسان بهذه

الأساطير وتقديس قسم منها , وهي بطبيعة الحال من نسج خياله , ((ولم يكن القدماء يرون في الأساطير اختلاقاً وهمياً أو سخافات خيالية منافية للعقل ... وأن الأسطورة عملية وحيوية , ولا تعد اختلاقا وهمياً , بل مستوى ضروري من مستويات الوعي الواقعي ونتاجاً حسياً وشيئياً للواقع))[٥٣] .

وما دامت الأسطورة من وحي خيال الإنسان وتصوراته بواسطة التمثيلات الانفعالية والسحرية , فلا بد أن تحتوي منذ مراحلها الأولى على القيم الأخلاقية والمثل الإنسانية , والصراع المستمر بين الخير والشر , وهذا ما يصب في الفكر الديني وينبع من تعاليمه ، ولإدراك هذه الحقيقة فإن القراءة الأولية للعديد من الملاحم التي تحوي في داخلها الأساطير , مثل ملحمة جلجامش , وقصة الخلق , والطوفان , والعديد من القصص والملاحم الأخرى , تبين لنا هذه الحقيقة بوضوح , وكذلك يتبين على أية قاعدة فكرية تستند هذه الأساطير .

إذا كان معنى الأسطورة ينطلق من فكر أزلي تظهر فيه محاولة الإنسان الأولى لصياغة فهم مناسب لميتافيزيقا الحياة التي تحيط به , فإن الدين وفق هذا المفهوم لا يعدو أن يكون في تكوينه يحمل فكراً أسطورياً , من هنا توجب علينا معرفة معنى الدين .

تنطلق معظم التعريفات للدين على أنه حاجة سيكولوجية ماسة[٥٤] , والدين من الموضوعات المعقدة والمتشعبة , ذلك لأن مثل هذا المصطلح تتداخل فيه جمله من المسائل النفسية والإعتقادية , فضلاً عن المسائل اللغوية والتاريخية , ومن الملاحظ أن ظاهرة الدين لازمت الإنسانية منذ نشأتها , وأن الدين ظاهرة عالمية[٥٥] , فلم يمر على الإنسان وقت لم يكن مأخوذاً بفكرة خلود الروح والخلاص من عالم المادة إلى عالم آخر ذي طبيعة مغايرة[٥٦] , وهذا لم يكن ممكناً بطبيعة الحال ، إلاَّ بوجود فكر أسطوري – ديني توفر طقوسه معنى لذلك .

وفق هذا المنظور فالدين حاجة أساسية في حياة الإنسان , أي إنسان , مهما كانت ثقافته وحضارته , وفي اللغة العربية أشتق اسم الدين من الديّان , وهو من أسماء الله الحسنى كما ورد في القرآن الكريم[٥٧] , ومعنى الديان القاضي والحاكم , وتعني أيضاً القهار , وهي تعني كذلك العادة والشأن ، تقول العرب : ((ما زال ذلك ديني وديدني))[٥٨] .

وفي مناقشته لمعنى الدين وأهميته في حياة الإنسان أشار (سعدون محمد الساموك) إلى معان للدين بقوله : ((الدين في اللغة هو الجزاء والإسلام والعادة والعبادة والطاعة والسلطان والحكم والملك والتوحيد فالله مالك يوم الدين , أي يوم المحاسبة والجزاء))[٥٩] .

وعليه فإننا يمكن أن نفهم الدين على أنه عملية استرضاء وطلب عون قوى أعلى من الإنسان , يعتقد أنها تتحكم بالطبيعة والحياة الإنسانية[٦٠] , ((والأديان والمعتقدات هي أيضاً أنماط لصياغات طقسية , وشعائر تساعد على دمج الحقائق الأساسية وصهرها في أفكارنا لتتحكم بوجودنا كله))[٦١] , ومن الواضح في ضوء الدراسات الانثروبولوجية أن الأوامر والنواهي والقواعد الدينية كانت لها صفة القواعد القانونية في المجتمعات البدائية , لأن ((القانون والأخلاق والدين كانت تختلط كلها ببعضها كأدوات للضبط الاجتماعي بل كانت كل القواعد الضابطة على مختلف مصادرها وتباين نوعيتها تصور للأفراد على أنها صادرة من الأرواح المقدسة أو الإرادة الإلهية))[٦٢] .

وبعبارة أخرى , فإن المشابهات البشرية الكونية تعيننا بصورة خاصة في القياس الذي فيه رموز لمختلف الأوضاع الوجودية , وهذا ما يؤكد القول : ((إن الإنسان المتدين حفي بسلسلة غير متناهية من تجارب يمكن أن نسميها كونية , وأن مثل هذه التجارب هي دينية دوماً))[٦٣] , من جهة أخرى , حاول الإنسان البدائي أن يعلل نفسه بعدد غير محدود من الآمال والأمنيات والأحلام التي صاغها بشكل ترانيم دينية , الغاية منها الوصول إلى حالة من التوافق بين ما هو قابل للتفسير وآخر مبهم , لا يستطيع هذا الإنسان بأدواته المعرفية المتوافرة آنذاك من تفسيره .

من هنا نجد أن الدين حاجة ضرورية فرضتها طبيعة وتطور حياة الإنسان , ومن ثم ، أصبح حاجة سيكولوجية ماسة , لأنه في غياب الدين يصبح المجتمع عبارة عن فوضى لا تحدها حدود أو ضابط نفسي مقدس , ولكن يجب التأكيد هنا , أن تلك التصورات والمفاهيم الميتافيزيقية لم تكن في المبتدأ مكتوبة بلغة نظرية , فجاء الرمز والأسطورة لتعبر عنها بوسائل متعددة .

توقف الأستاذ (فراس السَّواح) طويلاً قبل أن يعطي تعريفاً مناسباً للدين , لأنه وحسب رأيه إن الدين ظاهرة تتداخل فيها التوصيفات وهو أهم ظاهرة عرفتها البشرية بعد صناعة الأدوات , وإن ظهور الدين إلى جانب هذه المنجزات كان كمؤشرين أساسيين على ابتداء الحضارة الإنسانية[٦٤] , والسواح إذ ينقل عن (هربرت سبنسر) أن الدين هو محاولة لتفسير الغامض من الكون الذي يحيط الإنسان ويتطلب منه تفسير لظواهره المتعددة ((إن الأديان على قدر اختلافها في عقائدها المعلنة , تتفق ضمنياً في إيمانها بأن وجود الكون هو سر يتطلب التفسير , لذا فإن الدين ... هو الاعتقاد بالحضور الفائق لشيء غامض وعصي على الفهم))[٦٥] .

في حين يصوغ (إميل دوركهايم) تعريفاً ينطلق من القداسة والتحريم التي يتميز فيها الدين عن غيره بقوله : ((الدين هو نظام متسق من المعتقدات والممارسات التي تدور حول موضوعات مقدسة يجري

عزلها عن الوسط الدنيوي , وتحاط بشتى أنواع التحريم , وهذه المعتقدات والممارسات تجمع كل المؤمنين والعاملين بها في جماعة معنوية واحدة))[٦٦] .

لذلك يمثل الدين دوراً مهماً وحساساً في سلوك الإنسان مهما كانت ثقافته وتطوره الحضاري , ولم يشهد تاريخ البشرية عاملاً أثر على مجرى حياة الإنسان ومسلكه كعامل الدين على الرغم من التقدم الذي طرأ على تاريخ الإنسانية في العلم والمعرفة , إلا أنه ما زال للمعتقد الديني أثره المباشر , ((لأن الإنسان دائماً مشدوداً إلى قوة جذب خفية تتحكم بمسلكه ونظرته نحو الحياة ونحو غيره , ونرى أن جميع فصائل البشر في العالم لها قواعدها الإيمانية الخاصة , وهي وأن اختلفت شكلاً , إلا أنها متماثلة في الأهداف والجوهر))[٦٧] .

ولا ريب أن الدين مؤسسة اجتماعية لا تستغني عنها أية جماعة بشرية مهما كانت بدائية أو متحضرة ، على الرغم من أن الدين له سلطة على المجتمعات البدائية أكثر من المجتمعات المتحضرة , إذ أن فكرة الدين اندمجت مع الإنسان منذ أول نشأته , وكانت في بدايتها فكرة بسيطة ساذجة تتسم بالخوف والرجاء من قوى الطبيعة المخيفة[٦٨] , ثم تطورت الأفكار من خلال مخيلة الإنسان لإنتاج نمط ديني يتوافق من متطلبات ومقتضيات الحاجة الإنسانية لذلك ؛ ومنذ أعتقد الإنسان أن وراء كل معلول علة , أخذ يعمل على تكوين منظومة معارفه حول الحياة والكون , وكان هاجسه معرفة كيفية الخلق وفهم هذا الوجود[٦٩] , ومع تطور فكر الإنسان ونمو إمكانياته المعرفية ، وتطور وسائل التعبير لديه وقدرته على المحاكاة واستخدامه للمنطق تكونت لديه رؤى وأفكار عن وجود خالق للكون , فكان في البداية يؤمن بتعدد الآلهة الفاعلة ثم اهتدى إلى الإله الأعلى خالق كل ما في الكون[٧٠] . وهكذا تحولت الرموز الدينية عبر العصور إلى وقائع اجتماعية تعيد تنظيم إدراك الإنسان لمحيطه وعالمه لأنها تلبي آمالاً وحاجات عميقة في بنية النفس الإنسانية[٧١] .

وعلى هذا يرى (أ . س . ميغوليفسكي) أنه ليس ثمة تباين أو اختلاف جوهري بين مختلف الديانات سوى بالشكليات التي غالباً ما يعطيها المؤمنون أهمية بالغة[٧٢] , ولكي يسوغ قوله السابق دعا إلى الغوص إلى جوهر الديانات اليهودية والمسحية والإسلامية أو البوذية , للتحقق من رأيه هذا , فهذه الديانات جميعاً تدعو إلى السلام والمحبة ونبذ الشر مهما كانت دوافعه وأسبابه وأهدافه[٧٣] .

المبحث الثالث : العلاقة بين الأسطورة والدين .

من المعلوم أن الأسطورة في أي مجتمع , هي انعكاس لتأملات أفراد ذلك المجتمع وآماله وأحلامه , وهي لا تأتي من فراغ إنما يلعب البعد الزماني والمكاني دوره , بمعنى آخر , إن صياغة الأساطير تخضع للحقبة

التاريخية التي ظهرت فيها بما تمثله تلك المدة من تطور ذهنية الإنسان , وما يحيطه من معطيات فكرية وعلمية , فضلاً عن ذلك , فإن للبعد المكاني أثره أيضا في نسج الأساطير , ذلك إن لكل مجتمع خصوصيته , والقول نفسه ينطبق على الدين بكونه ظاهرةً نفسيةً – اجتماعيةً لها محدداتها الخاضعة للبعد الزماني والمكاني .

ومن المثير للتأمل أن التداخل بين الأسطورة والدين لا يشمل مكاناً واحد أو منطقة بعينها ، فعلى سبيل المثال شيوع أساطير الطوفان والدمار الشامل في جميع أنحاء العالم . وهذا ما دفع (فراس السَّواح) إلى طرح أسئلة عدة من بينها هل أن هذه الأساطير تشف عن حقائق نفسية ونوازع خافية باطنة[٧٤] ؛ أم أنها تعبير عن نزعات تدميرية كامنة في لاشعور البشر ورغبة لاواعية في تدمير الذات , أم هي أحساس عارم بالإحباط من حاضرٍ يسير دوماً في اتجاه مخالف لسعادة الإنسان[٧٥] .

من بعد هذا , جاء الدين ليعطي للإنسان فرصة الحصول على السكينة والطمأنينة خصوصاً في الديانات الشمولية التي ربطت بشكل كامل بين الحياة الروحية والنفسية الاجتماعية .

وتأسيساً على هذا المفهوم , فإن الدين لا يقوم على أساس وهمي , أو على الأفكار الخاطئة التي تم تكوينها في عصور طفولة الإنسانية , بل انه يقوم على أكثر الأسس صلابة في وجود الإنسان , إنه الوعي الباطني بالحقيقة[٧٦] ؛ وعلى ما يبدو , أن خيال الإنسان قد لعب دوراً كبيراً في أسطرة النص الديني , إذ حاكت القريحة , أو القرائح , قصصاً خيالية من خلال أسماء المشاهير وأحدث التاريخ المقدس , مع ما في ذلك من تخذلق ومبالغات ومتناقضات[٧٧] , مما جعل الميثولوجيا الأولى المبنية على الأساطير والخرافات هي أساس تفسير ظواهر الكون والحياة[٧٨] .

وتظهر العلاقة بين الأسطورة والدين كما حدَّدها (فراس السَّواح) بقوله : ((تنشأ الأسطورة إذن عن المعتقد الديني , وتكون امتداداً طبيعياً له , فهي تعمل على توضيحه وإغنائه , وتثبته في صيغة تساعد على حفظه وعلى تداوله بين الأجيال , كما أنها تزوده بذلك الجانب الخيالي الذي يربطه إلى العواطف والانفعالات الإنسانية ... فالأساطير هي التي ترسم صورة الآلهة , وتعطيها أسماءَها , وتكتب لها سيرتها وتاريخ حياتها))[٧٩] , من هنا يمكن القول إن العلاقة بين الأسطورة والدين متداخلة إلى درجة لا يمكن أن نتصور وجود الدين – على الأقل في بدايته ظهوره – بدون وجود الفكر الأسطوري , مما يجعل العلاقة بينهما تبادلية , أحدهما يكمل الآخر .

في مثل هذه المحاور تبدو لنا أن العلاقة بين الأسطورة والدين , علاقة تكاملية ، بمعنى أوضح أن رغبة الإنسان في تقديم شروح للظواهر والحكايات التي تحيط به من أجل تفسيرها وفق المنظور الأسطوري ـ

الديني , لأنه يعجز بإمكانيته المعتادة أو العقلية أن يفهمها , وهنا يأتي الفكر الأسطوري بإجابات جاهزة لجميع الأسئلة المطروحة في هذا السياق , على اعتبار أن الأسطورة هي حكاية تتجاوز العقل الواعي ولكنها مؤيدة بسلطان ذاتي مما يجعلها مقبولة لدى الإنسان .

إن الأسطورة من حيث شكلها هي وسيط رمزي بين الانفعال الداخلي والخارجي , وهي ترتبط بنظام ديني معين , وتعمل على توضيح معتقداته وتدخل في صلب طقوسه[٨٠] , وهكذا يبدو لنا أن الأسطورة تفقد كل مقوماتها إذا انهار هذا النظام الديني الممثل لها وتتحول إلى حكاية دنيوية تنتمي إلى نوع آخر من الأنواع الشبيهة بالأسطورة[٨١] . وتفسير ذلك من وجهة نظرنا يعود إلى أن الدين لا يكتمل إلاَّ بوجود الفكر الأسطوري كي يسهل عليه الولوج من بوابة الخيال المفتوح دوماً في النفس الإنسانية .

وفضلاً عن ما تقدم , فإن الأسطورة تعمل على تزويد فكرة الإلوهية بألوان وظلال حية تكاد تتوافق من رؤية الإنسان , لأنها ترسم للآلهة صورها التي يتخيلها الناس , وتعطيها أسماءَها وصفاتها وألقابها , وتكتب لها سيرتها , وتحدد صلاحياتها وعلاقتها بعضها ببعض[٨٢] , وهذا يتم من خلال مبدأ الاستمرارية , وهو الاعتقاد باستمرارية فعالية الآلهة , وهذا المبدأ هو الذي حافظ على استمرارية بقاء الطقوس الدينية والمحافظة على نظامها من خلال صياغتها أسطورياً[٨٣] , ويتضح هنا ، أن الأسطورة تقوم بترميز الخبرة الدينية وتعمل على موضعتها في الخارج , ثم تأتي الطقوس لتلعب دور المطهر للانفعالات الدينية العنيفة , عند هذا المستوى تتحول التجربة الانفعالية إلى صورة أو إلى مجموعة صور , ويتبلور المفهوم الديني إلى الوعي , وقد تحول إلى معتقد[٨٤] , وعلى هذا , نذهب تأييد الرأي القائل : ((إن الأسطورة تفسير وتأويل لشعائر دينية))[٨٥] , وهذا أمرٌ لا يرقى إليه الشك .

لقد كان للأساطير البابلية , مثلاً , تأثيرٌ واضح على الديانة اليهودية كما نجده مدوناً في سفر التكوين , لا سيما ما يخص جنة عدن والطوفان والتابوت وبرج بابل[٨٦] , ويرى الأستاذ (بورج) أكثر من ذلك , فهو يذهب إلى الاعتقاد أن الأسفار الخمسة الأصلية للتوراة , وهي (التكوين , واللاويين , والخروج , والعدد , ويشوع) قد وصلت إلى شكلها الذي عرفت به بعد السبي البابلي[٨٧] . وهذا بطبيعة الحال يبين لنا مدى التأثير الذي لعبه الفكر الأسطوري في الدين .

المبحث الرابع : من الأسطورة إلى الدين تضمين في النص وتأثير في المعنى .

أصبح واضحاً لدينا أن العلاقة بين الأسطورة والدين هي علاقته تداخل وتأثير , أي إن النص الأسطوري قد تحول إلى النص الديني وتداخل معه بحيث يصعب التفريق بينهما في بعض الأحيان , ولأن الأسطورة ترتبط بنظام ديني معين وتتشابك مع معتقدات ذلك النظام وطقوسه المؤسسة , ولأنها تحتاج

كذلك إلى فكرة الألوهة المقدسة كي يكتب لها التواصل والديمومة مع المتلقي الآخر الإنسان , ومن ثم ، فإن الأسطورة تتمتع بقدسية عظيمة على عقول الناس ونفوسهم ، وهي تفقد كل مقوماتها كأسطورة إذا انهار النظام الذي تنتمي إليه , وتتحول إلى حكاية دنيوية تنتمي إلى نوع آخر من الأنواع الأدبية الشبيهة بالأسطورة[٨٨] مثل الخرافة والحكايات الشعبية ، وقد تنحل بعض عناصرها في الحكايات الشعبية .

إن التداخل بين الأسطورة والدين يقودنا إلى بحث المؤثرات الأسطورية في مختلف الديانات , لأن مجمل الأفكار والمعتقدات التي تطرحها الأساطير لها ما يماثلها في النصوص الدينية , فعلى سبيل المثال نقرأ في ترتيله مصرية قديمة ما يتوافق مع نصوص في الديانات السماوية , ((واحد , ولا ثاني له ، خالق كل شيء , قائم منذ البدء , عندما لم يكن حوله شيء , والموجودات خلقها بعدما أظهر نفسه إلى الوجود , أبو البدايات , أزلي أبدي , دائم قائم , خفي لا يعرف له شكل ، وليس له من شبيه))[٨٩] , وفي نص مصري قديم آخر عن الإله (حورس) : ((الإله الأول الذي خلق نفسه بنفسه))[٩٠] , وفي الديانة المتأخرة نجد في نصوصها ما يوافق النص المصري بالإشارة إلى أن الله (سبحانه وتعالى) انبعث من ذاته[٩١] , ومع هذا فإننا لا نتوقع أن تتشابه هذه المعتقدات إلى حد التطابق , وذلك لأسباب وعوامل طقسية ، تاريخية وحضارية عديدة .

ومع ذلك فبإمكاننا أن نرسم صورة للتداخل بين الأسطورة والنص الديني من خلال قصة الخلق , ولا سيما في الأساطير السومرية والبابلية وحتى المصرية القديمة إذ ان هناك ما يناظرها في النصوص الدينية , ففي معتقدات الشرق القديم أن خلق الكون جاء عن طريق الألوهة المطلقة المترهة التي لا يحد إطارها ولا تتجسد في شيء أو هيأة[٩٢] , ونجد صدى هذه المقولة كذلك في النصوص الدينية المقدسة التي تبين أن الخالق واحد هو الله , وفي أسطورة خلق الكون هناك تأكيد مباشر على أن بداية الخلق كانت من الماء , أو (الميلاد المائي) ، وبالتأكيد فإن هذا ما جعل الأستاذ (فراس السَّواح) يذهب إلى تأييد الرأي القائل أن بداية الكون ((هي حالة من العماء المائي , ساكن , لا متمايز ، لا متشكل ، في زمن سرمدي متماثل ، لا ينتابه تغيير ولا تبديل كأنه عدم ، وفي لحظة معينة , هي هزة دمار ، يليها بناء جديد , ينبثق الكون من لجة العماء))[٩٣] .

لقد رأى السومريون أن الكون لم يكن موجوداً منذ الأزل إنما تم خلقه , وذهبوا إلى الاعتقاد بأن هناك مادة أولى ومحركاً أولياً سبق كل شيء وشكَّل أساساً له ، وأطلقوا عليه أسم (نمو) وهي آلهة أنثوية تعني البحر الأول ، ثم ولدت منها السماء (آن) والأرض (كي) بعد أن شطر ما بينهما إله الهواء[٩٤] ، وقريب من هذا القول ، فإن السومريين استنتجوا ما يمكن تسميته البحر الأول , وأنهم رأوا في ذلك البحر السبب الأول , والمحرك الأول للوجود[٩٥] . والماء الذي رسمته الأسطورة والدين لفكرة الخلق يرجع

حسب مدرسة التحليل النفسي التي تؤكد أن نظرية الميلاد المائي لدى الشعوب تعد انعكاساً لذكرى كامنة في لاشعور الإنسان حول حالة الجنين في ماء الرحم سابحاً في بحره الأول[٩٦] .

إننا نجد صدى لأسطورة الخلق الأولى من الماء في النصوص الدينية , ففي الأسطورة البابلية ما نصه : ((في تلك الأزمان الأولى . لم يكن سوى الماء))[٩٧] وفي القرآن الكريم تشير الآية إلى الخلق الأول , قال تعالى : ((وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء))[٩٨] , وعلى غرار المعنى المشار إليه ، نجد في التوراة ما نصه : ((في البدء خلق الله السموات والأرض وكانت الأرض خربة وخالية على وجه الغمر ظلمة وروح الله يرفرف على وجه الماء))[٩٩] ، وفي أسطورة الخلق السومرية ، إذ كان الماء هو المبدأ الأول ، وانطلاقاً من هذه المياه البدئية تتم كل عمليات الخلق وهي أزلية غير مخلوقة[١٠٠] .

وفي مدينة (ممفيس) عاصمة مصر القديمة عرف الإله (بتاح) وهو الذي خلق الأرباب كلهم وخلق كل ما هو موجود في هذا الكون , وقد خلق (بتاح) مخلوقاته كلها بقوة الكلمة , ولم يكن الآلهة الذين خلقهم بتاح سوى صفاته ، وماهيته , وخاصيته فكلمته الخلاقة هي الإله (سيا) , والقوة السحرية للكلمة هي الإله (خيكا)[١٠١] , وليس بعيداً عن هذا الكلام ما نجده في الإنجيل وهو ((في البَدءِ كان الكلمة , والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله))[١٠٢] .

ونجد الانتقال والتأثير والتشابه في أهمية الجبل في كل من الأسطورة والنص الديني ، ففي الأسطورة اليونانية أن (زيوس) كبير الآلهة يسكن جبل الأوليمب , وفي المثيولوجيا المصرية القديمة كان الفرعون يصعد الجبل ليلتقي بإله الشمس , وأن النبي إبراهيم (عليه السلام) صعد الجبل ليقدم ابنه قرباناً لله , والنبي موسى (عليه السلام) صعد الجبل لينظر إلى الأرض المقدسة , وعلى جبل الزيتون تحدث السيد المسيح (عليه السلام) عن نهاية العالم وضرورة التوبة[١٠٣] , وبوذا اتخذ من الجبل مكاناً للعزلة والتأمل , وعلى جبل عرفات كان الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) يتعبد في غار حراء ويتفكر في خالق السموات والأرض , هذا التداخل في المواقف لا يمكن أن يكون من باب المصادفة إلاَّ أن يكون تحول وانتقال من الفكر الأسطوري إلى الفكر الديني .

ولعل أكثر ما نجده لهذه الأساطير من تأثير في الديانة اليهودية , فقد برهن علم الآثار على أن المقومات الأساسية للتوراة هي بابلية صرفة[١٠٤] , ولا يختلف شقاء الإنسان في قصص العبرانيين للخلق كثيراً عن التعليل السومري , فهما يلتقيان معاً في مبدأ الخطيئة الأولى[١٠٥] , ففي سفر التكوين نقرا أن الله (سبحانه وتعالى) خلق الإنسان على صورته وبعد خلقه أوصاه : ((إن شجرة المعرفة للخير والشر فلا تأكل لأنك يوم تأكل منها , تموت موتاً))[١٠٦] , إن هذا النص يكاد يكون متداخلاً مع نص أسطوري

وهو قصة (انكي وننخرساك) ووجود هذين الإلهين في الفردوس السومري وقيام انكي بأكل النبات الذي زرعه ننخرساك لتحل عليه اللعنة بعد ذلك[١٠٧] , وفي التوراة والإنجيل والقرآن الكريم ذكر لمخالفة آدم وحواء وصية الله (سبحانه وتعالى) لهما أن لا يأكلا من الشجرة المحرمة , ليعاقبهما الله بعد ذلك فأخرجهم من الجنة .

وفي مجال التأثير الأسطوري في الفكر الديني يظهر في كل من الأسطورة والدين أن الإنسان يتعرض لأغواء الأفعى التي تحرمه من الحصول على الخلود الأبدي , ففي النص الأسطوري لملحمة جلجامش أمثلة عن الأفعى , منها محاولة جلجامش الحصول على عشبة الخلود من قاع البحر , لكنه خسرها بعد أن جاهد كثيراً للحصول عليها بسبب سرقتها من قبل أفعى بأن أخذتها منه وابتلعتها فنالت الخلود[١٠٨] ؛ ونظير هذه الأسطورة نجد في التوراة ما نصه : ((وكانت الحية أحيل جميع الحيوانات البرية التي عملها الرب الإله , فقالت للمرأة أحقاً قال الله لا تأكلا من شجر الجنة , من شجر الجنة نأكل . وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة منعنا الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا , فقالت الحية للمرأة لن تموتا))[١٠٩] .

ولا بد لنا أن نذكر بهذا الصدد ما ورد في سفر التكوين , حينما وعدت الأفعى آدم بأنه سيصبح حكيماً يشبه الرب وسيتعلم الخير والشر إذا ما شارك حواء فيأكل من الثمرة الممنوعة[١١٠] , وهذه الفكرة تتشابه كثيراً مع الأسطورة البابلية المعروفة بأسطورة (أدبا) , وإظهار نقاط التقائها مع قصة آدم في التوراة , ولا سيما خروجه من الجنة , والملابسات التي صحبت ذلك[١١١] .

وفي لوح أكدي عمره (٤٢٥٠) سنة هناك أشارة إلى أسطورة مولد سرجون الأكدي , التي تكاد تتطابق مع مولد النبي موسى (عليه السلام) , والأسطورة تحكي أن أم سرجون حبلت به سراً , ((أم البطل القومي تصنع سلة وتطليها بالغار , تضع الأم ابنها الرضيع في السلة وتلقي السلة بالنهر , لا يغرق الرضيع وإنما السلة تطفو على صفحة الماء , شخص يجد السلة فينتشلها من النهر ويخرج الرضيع , يقوم هذا الشخص المنقذ بتربية الرضيع , يكبر الطفل ويقود شعبه))[١١٢] . وتروي لنا التوراة بأن أم النبي موسى (عليه السلام) وضعته وهو طفل في قارب من القش بعد أن طلي بالقار وألقته في نهر النيل , والتقطته ابنة فرعون وربته في بيت أبيها الفرعون حتى أصبح له شأن[١١٣] .

لقد بدت المتشابهات في القصتين واضحة , ولو وضعنا النصين في المقاربة أو المقارنة لوجدنا أن نقاط التلاقي والمشابهة أكثر من نقاط الخلاف والاختلاف , وهنا يتساءل الباحث (عبد الكريم العلوجي) عن هذا القاسم المشترك , فيرده إلى أن كُتَابَ أسفار التوراة وبعد إطلاعهم على التراث السياسي لبلاد الرافدين استنبطوا فكرة هذا الزعيم الأوحد[١١٤] , وأن ولادة الاثنين موسى وسرجون بالسر يكتنفها

الضباب لإعطاء هالة لشخصيتهما ، مبيناً أن ((هذا الشبه في طفولة ونشأة هذين الرجلين الشهيرين مرده إلى أن كاتب حياة موسى أراد أن ينسج على مثال شخصية معروفة هو سرجون الأكدي))[١١٥] .

إن طقس التعميد بالماء الموجود في العديد من الديانات أصله سومري يرجع إلى عبادة إله الماء (إيا) كما هو موجود في الأسطورة السومرية – البابلية والذي يعني اسمه (إله بيت الماء) , وكان البابليون يرمزون للإله (إيا) بحيوان خرافي نصفه الأعلى على هيئة ذكر الماعز (تيس) , ونصفه الأسفل لسمكة[١١٦] , كما كانوا يرمزون لبرج (أنكي) السماوي بنفس الحيوان , فإذا علمنا أن الاسم الذي عرف به الإله أنكي في الحقب المتأخرة هو (اوانيس) الذي يلفظ باليونانية (ايوانس) , وباللاتينية (يوحانيس) وبالعبرية (يوحنا) لأدركنا العلاقة بين إله الماء (أنكي) ويوحنا المعمدان في الإنجيل[١١٧] .

ونجد الأسطورة تتداخل مع النص الديني , ففي الديانة الوثنية أن الإله (بلوتو) ولد من عذراء[١١٨] , والسيدة (مريم) ولدت السيد المسيح (عليه السلام) من دون نكاح , هذه العلاقة هي التي تفسر لنا إشارة النصوص الأسطورية الطقسية إلى الإله الابن على أنه ابن الأم الكبرى[١١٩] , ولقد بقي في علاقة المسيح بأمه العذراء أثر من هذا التقليد القديم , بعد أن ارتفعت العلاقة المزدوجة إلى مستويات روحانية سامية[١٢٠] .

ومما يشير إلى تأثير الأسطورة في النص الديني ما نجده في الأعياد , مثلاً , في احتفال العالم يوم (٢٥كانون الثاني) بعيد ميلاد السيد المسيح (عليه السلام) له بعد أسطوري ، لأن هذا اليوم عُدَّ في الأساطير القديمة عيد ميلاد الشمس ، وهو يوم الانقلاب الشتوي إذ تصل الشمس إلى آخر مدى لها في الميلان عن كبد السماء , ويكون أقصر يوم في السنة[١٢١] , وقديماً في سورية يحتفل في هذا اليوم بمولد الإله (أدونيس) فيجتمعون في المعابد ويهتفون عند منتصف الليل , لقد أنجبت العذراء ابنا , والنور ينتشر[١٢٢] .

وفي إشارة إلى قصة يوسف (عليه السلام) يرى (فراس السَّواح) أن فيها تداخلاً مع العناصر الأساسية لأسطورة موت وبعث تموز , والباحث هنا , يبين التداخل بأسلوب حذق , وهو لا يدري هل جاء تسلسل الرمز نتيجة تضمين واعٍ ، أم نتيجة تدفق لا شعوري عبر ذاكرة الثقافة[١٢٣] , ونحن هنا نعتقد أن هذا هو تضمين النص الأسطوري في النص الديني وانتقال في المعنى من الأسطورة إلى الدين , وهو ما افترضنا في عنوان البحث .

إن إلقاء يوسف في غياهب الجب , ثم خروجه , إنما هو موته الرمزي وبعثه , وكما كان خروجه الأول من الجب بركة على الرجل الذي اشتراه (فوطيفار) رئيس شرطة الفرعون , كذلك خروجه الثاني

من السجن بركة على مصر والبلدان المجاورة[١٢٤] , تماماً كالآلهة تموز (دموزي) الذي يشكل موته وبعثه شرطاً لاستمرار الحياة , ويوسف في تنظيمه لدوريّ الخصب والجدب المؤلفة كل واحدة منهما من سبع سنوات , إنما تمثيل دور الإله (بعل)[١٢٥] الذي تتحكم حياته في إيقاع دورة الخصب المؤلفة من سبع سنوات[١٢٦] .

كان لقصص الطوفان في الأساطير السومرية والبابلية أثراً في المعتقدات الدينية , ذلك أن أسطورة الطوفان تتحدث عن نهاية العالم , وتنطوي في شيء من الوضوح على خلق عالم جديد[١٢٧] , وأن المحور الأساسي الذي تقوم عليه أحداث هذه الأسطورة هو تصميم الآلهة على هلاك الجنس البشري بسبب الآثام والشرور التي ارتكبها[١٢٨] .

أما رواية الطوفان التي تحدثت عنها التوراة فإنها مقتبسة كلياً من قصة الطوفان السومرية , والبابلية , والذي نقلته المدونات بأسلوب أسطوري ثم أعاد أحبار اليهود صياغته بأسلوب ديني[١٢٩] ، وأن (زيوسوردا) هو الأصل الأكادي الذي أخذت عنه شخصية نوح[١٣٠] . وأن الإله (أيا)[١٣١] الذي عرف بحبه للناس عز عليه أن تفنى البشرية بفعل الطوفان , فأنذر رجلاً تقياً وحكيماً من مدينة (شروباك) بوجوب الاستعداد للحدث الخطير (الطوفان) , وخاطب رجل الطوفان (أوتنابشتم) قائلاً : ((هَدَّم بيتك وأبن سفينة , اترك المال وأنشد الحياة , انبذ المال وأنقذ النفس , واحمل في السفينة بذرة كل المخلوقات الحية))[١٣٢] .

يعلق (فاضل عبد الواحد علي) على هذه الأسطورة محاولاً إظهار التداخل مع النص الديني التوراتي مبيناً : ((إن التشابه بين قصة الطوفان في المراجع المسمارية وبين التوراة واضح كل الوضوح))[١٣٣] . وينقل عن التوراة ليؤكد هذا التداخل والتشابه ما نصه : ((كان نوح رجلاً باراً كاملاً في أجياله ... وفسدت الأرض أمام البشر ... فقال الله لنوح نهاية كل بشر قد أتت أمامي , لأن الأرض امتلأت ظلماً منهم , فها أنا مهلكهم مع الأرض ، أصنع لنفسك فلكاً من خشب جفر ... وأحمل فيه من كل ذي جسد اثنين ، من كل تدخل إلى الفلك لاستبقائها معك تكون ذكر وأنثى))[١٣٤] .

إننا لنجد التأثير الأسطوري في الفكر الديني اليهودي إلى الحد التضمين نصياً , لقد أضحى الفكر الأسطوري ومنذ تسلله إلى النص الديني يمثل حجر الزاوية في الكثير من المفاهيم والمقولات والأفكار المتداولة في الديانات المختلفة , فعلى سبيل المثال لا الحصر ,كان بعض نصوص ملحمة جلجامش قد نقل إلى كتاب التوراة أما تضميناً في النص أو حضوراً في المعنى , مما يدفعنا على التأكيد أن مدوني الكتاب المقدس قد تأثروا كثيراً بهذه الملحمة , وكانوا على علم بها . لقد التقى جلجامش وهو في طريقه إلى بطل الطوفان بحورية على شاطئ الذراع الأخير من البحر الذي يتوجب عليه اجتيازه ليصل إلى مبتغاه , وبعد

أن عرفت منه أنه يبحث عن سر الخلود حذرته أن بحثه بلا طائل , وقالت له : ((إلى أين تطوف هكذا ياجلجامش , الحياة بلا نهاية التي تبحث عنها , أنك لن تجدها أبداً . حين خلقت الآلهة البشر , جعلوا الموت من نصيبه , محتفظين لأنفسهم وحدهم بالخلود , أما أنت فالأحرى بك أن تملأ بطنك ؛ عش مبتهجاً , نهاراً وليلاً ؛ احتفل يومياً ارقص واستمتع نهاراً وليلاً ؛ ألبس ثياباً نظيفة , اغتسل , استحم , أنظر بحنان إلى صغيرك الذي يمسك بيدك , واسعد زوجتك الملتصقة بأحضانك , فهذا هو الأفق الوحيد بين البشر))[١٣٥] .

وفي سفر الجامعة من كتاب التوراة نجد التشابه ظاهر للعيان مع النص السابق في ملحمة جلجامش , فنجد ما نصه : ((اذهب , كل خبزك بفرح , واشرب خمرك بقلب طيب ؛ ليكن ثيابك في كل حين بيضاء , ولا يعوز رأسك الطيبُ , التذ عيشاً مع المرأة التي تحبها ,كل أيام حياتك باطلة التي منحت تحت الشمس , كل ما تستطيع أن تفعله أفعله بقوَّتك لأنه ليس من عملٍ , ولا فكرةٍ , ولا معرفةٍ , ولا حكمةٍ في الهاوية التي أنت ذاهب إليها))[١٣٦] .

إن التأثير والتداخل سواء كان نصياً أو في المعنى بين النصين ظاهر للعيان , بل نكاد نجزم أن مؤلف سفر الجامعة , والذي تتضح ثقافته الواسعة قد اطلع على الملحمة , وليس بالضرورة , أن يكون النص البابلي منها , بل ربما عثر على ترجمة آرامية لها[١٣٧] , وهكذا انتقلت الأفكار الواردة في الأسطورة إلى التوراة , وهكذا ظهر التجلي الأسطوري في النص التوراتي .

الخاتمة والاستنتاجات

إن دراسة العلاقة بين الأسطورة والنص الديني والانتقال الأسطوري إلى الفكر الديني , وما رافق ذلك من دراسة وتحليل جعلت الباحث يتوصل إلى نتاج عدة , وهي :-

أولاً :- لم يمر على الإنسان وقت منذ وجوده على هذه المعمورة إلا وهو مأخوذاً بفكرة خلود الروح والخلاص من عالم المادة إلى عالم آخر ذي طبيعة مغايرة , فالتجأ إلى السحر في بداية تصوراته للحياة والكون , وبعد تعدد الأسئلة التي أخذت تلح على مخيلته ، غادر السحر إلى الأسطورة معللاً كل ما يحيط به من ظواهر الكون والطبيعة وفق المنظور الأسطوري ، وظلَّ الإنسان على هذا الحال حتى تحولت الكثير من المفاهيم الأسطورية إلى نصوص دينية , ومن ثم بدأ يكون المفاهيم الدينية الوثنية القائمة على تعدد الآلهة , وصولاً إلى اكتشاف الوحدانية الإلهية عبر الديانات السماوية ، وفي هذه المسيرة الحافلة بالمتغيرات الفكرية الميتافيزيقية والماورائية كان للأسطورة حضورها الفاعل .

ثانياً:- إن الوظيفة الرئيسية للأسطورة أنها تعبر بصورة دراماتيكية عميقة عن أيدلوجيا الجماعة البشرية وأحلامها , عادةً , وبهذا فإن الأساطير تدفع هذه الجماعة إلى التمسك بقيمها ومعاييرها وقيمها العليا التي تسعى إلى تحقيقها من جيل إلى جيل , وفوق كل هذا تعبر الأسطورة أيضا عن وجود الجماعة وبنيانها الحضاري والثقافي , كما تعمل الأساطير كضوابط ومؤشرات لدعم وترصين القواعد والقيم والممارسات التقليدية , والتي يتعرض المجتمع إلى التحلل والتفكك بدونها , وعلى هذا فهي تشترك مع الفكر الديني في ترصين وحفظ القيم المطلوبة في المجتمع والرفع من شأنها .

ثالثاً:- تعد الأسطورة ظاهرة جمعية تعبر عن تأملات الجماعة وحكمتها وخلاصة ثقافتها , ولا يعرف للأسطورة مؤلف معين لأنها ليست خيال فردي أو حكمة شخص بعينه وهي تتمتع بقدسية وسلطة عظيمة على عقول الناس ونفوسهم مما جعل الأسطورة تتماثل مع الدين , ولهذا فإن التضمين النصي والانتقال في المعنى واضح جداً والتماثل بين الأسطورة والدين يأتي من ارتباط الأسطورة بنظام ديني معين وهي تتشابك مع ذلك النظام وطقوسه المؤسسة وتفقد كل مقوماتها كأسطورة إذا انهار النظام الديني الذي تنتمي إليه وتتحول إلى حكاية دنيوية تنتمي إلى نوع آخر من الأنواع الأدبية , مثل الحكاية الخرافية , وقد تتحلل بعض عناصرها في الحكاية الشعبية .

رابعاً:- كان التداخل النصي والتأثير في المعنى بين الأسطورة والدين أمر واضحاً لا يمكن تجاوزه ، لا سيما إذا علمنا أن الأسطورة تنشأ عن المعتقد الديني , وتكون امتداداً طبيعياً له , وهي تعمل على توضيحه وإغنائه وتثبته في صيغة تساعد على حفظه , وعلى تداوله بين الأجيال , وأنها تزوده بذلك الجانب الخيالي الذي يربطه إلى العواطف والانفعالات الإنسانية , وعلى هذا يتضح أن الأساطير هي التي ترسم صورة الآلهة , وتعطيها أسمائها , وتكتب لها سيرتها .

خامساً:- لقد حاول الإنسان أن يستلهم من وحي الأسطورة ما هو مقدس أو ديني ، لأن الدين في بداية ظهوره لم يكن يمتلك كل هذه الأدوات المعرفية لصياغة نصوصه المقدسة , وهكذا فإن الدين بحاجة إلى الأسطورة , أساطير عن الآثم , وعن الكفارات , والخلاص , والبعث , والحساب , والتوبة , والتطهر ، من هنا نلحظ أن التناص والتأثير بين الأسطورة والنص الديني أمر مهم وحيوي ، لأن الأسطورة حكاية مقدسة يؤمن أهل الثقافة التي أنتجتها بصدق روايتها إيماناً لا يتزعزع .

سادساً:- كان اعتقاد الإنسان بالأسطورة قديماً لا يرقى إليه شك , فهو موقن أن هناك كائنات ما ورائية تتحكم بحياته ومصيره فصور لكل واحدة آلهة ولم تكن الوسيلة المتاحة أمامه إلا الأساطير , وهكذا توصل إلى اكتشاف الدين , ومن ثم , صياغة النصوص الدينية التي هي بمعظمها ترجع في أصولها إلى نصوص أسطورية . من هنا غدت الأسطورة مصدراً هاماً للنصوص الدينية , وتمثل ذلك في الناس ، كل ما لا

يمكن تفسيره أو إدراكه أو فهمه ، يرد إلى فعل قوى أخرى ليس لها وجود في الواقع وتكون إجابات على الكثير من التساؤلات التي تلح على مخيلة الإنسان مع تطور تفكيره .

سابعاً:- كانت الأسطورة , ولازالت , وستبقى شكلاً من أشكال التعبير عن الروح الإنسانية ولها تأثير على حياة الإنسان رغم التقدم العلمي والتطور التكنولوجي ، لذا نجد أن معظم التصورات الدينية نابعة من الأسطورة أو على شاكلتها , وليس غريباً أن عدد من الطقوس الدينية في الوقت الحاضر هي امتداد لفكر أسطوري , وينطبق هذا القول حتى على بعض الطقوس في الإسلام , وهناك شعوب دفعت دماء وخسرت ثروات طائلة بسبب تمسك حكامها بالأساطير الموحية بنقاء العرق , والجنس المتفوق , والإنسان الأرقى ,كما ظهر في ألمانيا , وهناك عدد من الشعوب الإسلامية لازال حكمها يتسلطوا عليها باسم الأفكار الدينية التي لا تخلو من الأساطير .

الهوامش والتعليقات

١- فراس السواح : الأسطورة والمعنى دراسات في الميثولوجيا والديانات الشرقية , دار علاء الدين ، (دمشق/د.ت) , ص٢٢ .

٢- مرسليا إلياد : أسطورة العود الأبدي ، ترجمة : نهاد خياط ، دار طلاس للدراسات والنشر ، (دمشق/د.ت) ,ص١٥-١٦.

٣- فراس السواح : دين الإنسان , منشورات دار علاء الدين , ط٤ , (دمشق/٢٠٠٢م) , ص٥٧ .

٤- فراس السواح : دين الإنسان , ص١٩ .

٥- نقلاً عن : نبيلة إبراهيم : قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية , دار العودة , (بيروت/١٩٧٤م) , ص٧ .

٦- بوهوسلاف هروشكا وآخرون : الأساطير في حضارة وادي الرافدين , ترجمة : عصام عبد اللطيف أحمد , منشورات بيت الحكمة , ط١ ، (بغداد/٢٠٠٦م) , ص٣١ .

٧- أحمد ديب شعبو : في نقد الفكر الأسطوري والرمزي ، بحث منشور في مجلة الفكر العربي ، العدد (٨١) ، (بيروت/١٩٩٥م) ، ص١٦٣ .

٨- فاضل عبد الواحد علي : من سومر إلى التوراة , دار الشؤون الثقافية العامة , ط٢ , (بغداد/١٩٩٦م) , ص١٢٩ .

٩- فراس السواح : مغامرة العقل الأولى دراسة في الأسطورة سوريا وبلاد الرافدين , دار الكلمة ط٤ , (بيروت/١٩٨٥م) , ص١٢٥ .

١٠- صموئيل هنري هوك : الأساطير في بلاد الرافدين , ترجمة : يوسف داود عبد القادر , دار الجمهورية , (بغداد/١٩٦٨م) , ص١٨ .

١١- عبد الحميد محمد : الأسطورة في بلاد الرافدين الخلق والتكوين , دار علاء الدين , ط١ , (دمشق/ ١٩٩٨م) , ص٣٥ .

١٢- فراس السواح : مغامرة العقل الأولى , ص١٢٤ .

١٣- صموئيل هنري هوك : الأساطير في بلاد الرافدين , ص٢٣ .

١٤- فراس السواح : الأسطورة والمعنى , ص٢٤ .

١٥- فراس السواح : الأسطورة والمعنى , ص٢٤ .

١٦- مغامرة العقل الأولى , ص٢٨٧ .

١٧- أليكسي لوسيف : فلسفة الأسطورة , ترجمة : منذر بدر حلوم , ط١ , (دمشق/٢٠٠٠م) , ص١١٣ .

١٨- م.ف.ألبديل : سحر الأساطير , ترجمة : حسان ميخائيل اسحق , دار علاء الدين , ط١, (دمشق/٢٠٠٥م) ,ص١٨.

١٩- مرسليا إلياد : المقدس والمدنس , ترجمة : عبد الهادي عباس , دار دمشق , (دمشق/ د.ت) , ص٦ .

٢٠- مرسيا إلياد : مظاهر الأسطورة , ترجمة : نهاد خياط , دار كنعان , ط١ , (دمشق/١٩٩١م) , ص٦ .

٢١- لغز عشتار الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة , دار علاء الدين , ط١ ، (دمشق/١٩٩٥م) , ص٣١٣.

٢٢- فراس السواح : لغز عشتار , ص٣١٣ .

٢٣- فراس السواح : مغامرة العقل الأولى , ص١٤ .

٢٤- سامي سعيد الأحمد : المعتقدات في العراق القديم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط١ ، (بغداد/١٩٨٨م) ، ص١٩ .

٢٥- فوزي رشيد : الفكر عبر التاريخ ، سينا للنشر ، ط١ ، (القاهرة/١٩٩٥م) ، ص٥٩ .

٢٦- صمويل هنري هوك : الأساطير في بلاد ما بين النهرين , ص١ .

٢٧- صمويل هنري هوك : الأساطير في بلاد ما بين النهرين , ص١ .

٢٨- مظاهر الأسطورة , ص٨٩ .

٢٩- الأب يوسف حبي : كنيسة المشرق , المركز الأكاديمي للأبحاث , (بيروت/٢٠١٣م) , ص٣٩٩ .

٣٠- هاشم يحيى الملاح وآخرون : دراسات في فلسفة التاريخ , دار الكتب للطباعة والنشر , (الموصل/١٩٨٨م) , ص٧٢ .

٣١- بنية الأساطير , ترجمة : حسن قبيسي , مجلة الفكر العربي , العدد (٧٧) , (بيروت/١٩٩٤م) , ص١٤٨ .

٣٢- حسن نعمة : موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب ومعجم أهم المعبودات القديمة , دار الفكر اللبناني , (بيروت/١٩٩٤م) , ص١٦ .

٣٣- حسن نعمة : موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب , ص١٦ .

٣٤- خليل أحمد خليل : مضمون الأسطورة في الفكر العربي , دار الطليعة للطباعة والنشر , ط٢ , (بيروت/١٩٨٠م) ,ص٨ .

٣٥- دين الإنسان , ص٥٦ .

٣٦- فراس السواح : مغامرة العقل الأولى , ص١٦ .
٣٧- سورة الفرقان , آية : ٥ .
٣٨- لويس معلوف : المنجد في اللغة والأدب والعلوم , المطبعة الكاثوليكية , ط٩ , (بيروت/١٩٦٦م) , ص٣٣٢ .
٣٩- فراس السواح : دين الإنسان , ص٥٦ .
٤٠- مجموعة من المؤلفين : ما قبل الفلسفة , ترجمة : جبرا إبراهيم جبرا , المؤسسة العربية للدراسات والنشر , ط٣ , (بيروت/١٩٨٢م) , ص٣٤ .
٤١- عبد الباسط سيدا : من الوعي الأسطوري إلى بدايات التفكير الفلسفي النظري – بلاد الرافدين تحديداً- دار الحصاد , ط١, (دمشق/١٩٩٥م). ص٦٨ .
٤٢ - فراس السواح : مغامرة العقل الأولى , ص١٧ .
٤٣- عبد الحميد محمد : الأسطورة في بلاد الرافدين ، ص٤٤ .
٤٤- خزعل الماجدي : متون سومر , المكتبة الأهلية , ط١ , (عمان/١٩٩٨م) , ص٦٥ .
٤٥- م.ف. البديل : سحر الأساطير , ص٣٤٦ .
٤٦- قاموس أساطير العالم , ترجمة : سهى الطريحي , المؤسسة العربية للدراسات والنشر , ط١ , (بيروت/١٩٩٣م) , ص٨ .
٤٧- خالد فؤاد طحطح : في فلسفة التاريخ , الدار العربية للعلوم ناشرون , ط١, (بيروت/٢٠٠٩م) ، ص٣٠ .
٤٨- فراس السواح : مغامرة العقل الأولى , ص١١ .
٤٩- فراس السواح : مغامرة العقل الأولى , ص١٥ .
٥٠- فراس السواح : دين الإنسان , ص٥٨ .
٥١- مجموعة من الباحثين : ما قبل الفلسفة , ص٣٩ .
٥٢- حسن نعمة : موسوعة ميثولوجيا أساطير الشعوب القديمة , ص٢٥ .
٥٣- م.ف.البديل : سحر الأساطير , ص١٩ .
٥٤- فراس السواح : دين الإنسان , ص٤٧ .
٥٥- سامية مصطفى الخشاب : دراسات في الاجتماع الديني , دار المعارف , ط٢ , (القاهرة/١٩٩٣م) , ص١٧ .
٥٦- فراس السواح : لغز عشتار , الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة , دار علاء الدين , ط١، (دمشق/١٩٨٥م) , ص٣٧٩.
٥٧- سميح دغيم : أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام , دار الفكر العربي ، (بيروت/د.ت) ، ص٦ .
٥٨- ابن منظور , جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم : لسان العرب , دار صادر ، (بيروت/د.ت) , مج١٣ ، ص١٦٦ .
٥٩- مقارنة الأديان , دار وائل للنشر والتوزيع , ط١ , (عمان/٢٠٠٤م) , ص١٥ .
٦٠- سامية مصطفى الخشاب : دراسات في الاجتماع الديني , ص٢٣ .
٦١- محمد أرغون : العلمنة والدين , دار الساقي , (لندن/١٩٩٠م) , ص٢٤ .

٦٢- سامية مصطفى الخشاب : دراسات في الاجتماع الديني , ص١٢ .

٦٣- مرسيا إلياد : المقدس والمدنس , ص١٢٥- ١٢٦ .

٦٤- دين الإنسان , ص١٩ .

٦٥- نقلاً عن فراس السواح : دين الإنسان , ص٢٣ .

٦٦- نقلاً عن فراس السواح : دين الإنسان , ص٢٧ .

٦٧- وهدان عويس : أديان البشر , دار أزمنة , ط١ , (عمان/٢٠٠٥م) , ص٥ .

٦٨- سعدون محمود الساموك : مقارنة الأديان , ص١٥ .

٦٩- عماد الصباغ : الأحناف , دار الحصاد للنشر والتوزيع , ط١ , (دمشق/١٩٨٨م) , ص١٧ .

٧٠- عماد الصباغ : الأحناف , ص١٢٩ .

٧١- جان بوتيرو : بابل والكتاب المقدس ، ترجمة : روز مخلوف ، دار كنعان للدراسات والنشر ، ط٢ ، (دمشق/٢٠٠٥م) ، ص٦ .

٧٢- أسرار الآلهة والديانات , ترجمة : حسان ميخائيل اسحق , دار علاء الدين , ط١ , (دمشق/٢٠٠٥م) , ص٥ .

٧٣- أ.س. ميغوليفسكي : أسرار الآلهة والديانات , ص٥ .

٧٤- فراس السواح : مغامرة العقل الأولى , ص١٢٥ .

٧٥- فراس السواح : مغامرة العقل الأولى , ص١٢٥ .

٧٦- فراس السواح : دين الإنسان , ص٣٩١ .

٧٧- الأب يوسف حبي : كنيسة المشرق , ص٣٩٩ .

٧٨- خالد فؤاد طحطح : في فلسفة التاريخ , ص٣٠ .

٧٩- فراس السواح : دين الإنسان , ص٥٩ .

٨٠- فراس السواح : الأسطورة والمعنى , ص١٣ .

٨١- فراس السواح : الأسطورة والمعنى , ص١٣-١٤ .

٨٢- فراس السواح : الأسطورة والمعنى , ص٢٤ .

٨٣- طه باقر : مقدمة في أدب العراق القديم , دار الحرية للطباعة , ط١ , (بغداد/١٩٧٦م) , ص٨٢- ٨٥ .

٨٤- فراس السواح : الأسطورة والمعنى , ص٢٤ .

٨٥- أحمد كمال زكي : الأساطير دراسة حضارية مقارنة , دار العودة ، ط٢ , (بيروت/١٩٧٩م) , ص٨٥ .

٨٦- دي.و.ج.بورج : تراث العالم القديم , ترجمة : زكي سوس , مراجعة : يحيى الخشاب وصقر خفاجة , دار الكرنك للنشر , (القاهرة/١٩٦٥م) , ج١ , ص٤٤ .

٨٧- تراث العالم القديم , ج١ , ص٦٦ .

٨٨- فراس السواح : دين الإنسان , ص٥٨ .

٨٩- فراس السواح : الأسطورة والمعنى , ص١٨٩ .

٩٠- عبد الرضا الطعان:الفكر السياسي في وادي الرافدين ووادي النيل , مطبعة جامعة بغداد , (بغداد/١٩٨٥م) , ص٢١٠ .
٩١- سامي سعيد الأحمد : تاريخ اللغات الجزرية , بحث منشور ضمن كتاب حضارة الوطن العربي القديمة أساساً للحضارة اليونانية , منشورات بيت الحكمة , (بغداد/٢٠٠٣م) , ص١٥٦ .
٩٢- فراس السواح : الأسطورة والمعنى , ص٢٠٩ .
٩٣- فراس السواح : مغامرة العقل الأولى , ص٢٣ .
٣- عبد الحميد محمد : الأسطورة في بلاد الرافدين , ص١٧ .
٩٥- صموئيل نوح كرامر : من ألواح سومر , ترجمة : طه باقر , مكتبة الخانجي , (القاهرة/١٩٥٧م) ، ص١٥٣ .
٩٦- سيد القمني : قصة الخلق أو منابع سفر التكوين , المركز المصري لبحوث الحضارة ، (القاهرة/١٩٩٩م) ، ص٤٢ .
٩٧- فراس السواح : مغامرة العقل الأولى ، ص٢١ .
٩٨- سورة هود , آية : ٦ .
٩٩- التوراة : سفر التكوين : ١ .
١٠٠- فراس السواح : مغامرة العقل الأولى ، ص١١٦ .
١٠١- أ.س.ميغوليفسكي : أسرار الآلهة والديانات , ص١٢ .
١٠٢- انجيل يوحنا : ١ : ١ .
١٠٣- حسن نعمة : موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب , ص٣٧ .
١٠٤- حسن فاضل جواد : حكمة الكلدانيين ،مراجعة وتقديم : يوسف حبي , مطبعة الفرات ، ط١ , (بغداد/٢٠٠١م) , ص٧٧.
١٠٥- حسن فاضل جواد : حكمة الكلدانيين , ص٨١ .
١٠٦- سفر التكوين : ٢ : ١٧ .
١٠٧- حسن فاضل جواد : حكمة الكلدانيين , ص٨١ .
١٠٨- حسن نعمة : موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب , ص٢٩ .
١٠٩- سفر التكوين : ٣ : ١- ٥ .
١١٠- صمويل هنري هوك : الأساطير في بلاد ما بين النهرين , ص٤٣ .
١١١- فاضل عبد الواحد علي : من سومر إلى التوراة , ص٢٠٤ .
١١٢- نقلاً عن : عبد الكريم العلوجي : سرجون الأكدي , دار الكتاب العربي , ط١ , (دمشق/٢٠١٠م) , ص٥ .
١١٣- وهدان عويس : أديان البشر , ص١٧ .
١١٤- الملك سرجون الأكدي , ص٢٨ .
١١٥- عبد الكريم العلوجي : الملك سرجون الأكدي , ص٢٩ .
١١٦- فراس السواح : لغز عشتار , ص٤٠٠ .

١١٧- فراس السواح : لغز عشتار , ص٤٠٠ .

١١٨- أ.س. بوكيت : مقارنة الأديان , ص١٤٥ .

١١٩- فراس السواح : لغز عشتار ، ص٢٦٨ .

١٢٠- فراس السواح : لغز عشتار , ص٢٩٦ .

١٢١- فراس السواح : مغامرة العقل الأولى ، ص٢٩١ .

١٢٢- فراس السواح : مغامرة العقل الأولى , ص٢٩١ .

١٢٣- فراس السواح : لغز عشتار , ص٣٤٠ .

١٢٤- فراس السواح : لغز عشتار , ص٣٤٢ .

١٢٥- بعل : إله المطر والصواعق وكل مظاهر الخصب عند السوريين , وأسمه أيضاً (حدد) , وتحت هذا المسمى الأخير دخل مجمع الآلهة البابلية , ولبعل أسماء أخرى منها , (آدون) ومنها أيضاً النعمان . (فراس السواح : مغامرة العقل الأولى , ص٣٠١) .

١٢٦- فراس السواح لغز عشتار , ص٣٤٢ .

١٢٧- مرسيا إلياد : مظاهر الأسطورة , ص٥٩ .

١٢٨- صمويل هنري هوك : الأساطير في بلاد مابين النهرين ، ص١٩.

١٢٩- عبد الوهاب عبد الرزاق الراوي : طوفان نوح بين الأساطير والآثار والقران ، دار علاء الدين ، ط١, (دمشق/٢٠١١م) ، ص١٤.

١٣٠- م.ف.البديل : سحر الأساطير ، ص٣٣٦ .

١٣١- إيا : أو أنكي إله المياه العذبة عند البابليين , تحكي لنا أسطورة التكوين البابلية كيف تغلب على (أبسو) المياه العذبة البدئية , وهو إلى جانب ذلك إله للمكر والدهاء والحيلة , وإليه تعزى معظم أساطير خلق الإنسان . (فراس السواح : مغامرة العقل الأولى , ص٢٩٨-٢٩٩) .

١٣٢- فاضل عبد الواحد علي : من سومر إلى التوراة , ص٢١٠-٢١١ .

١٣٣- من سومر إلى التوراة , ص٢١٥ .

١٣٤- سفر التكوين : ٦- ٩ .

١٣٥- جان بوتيرو : بابل والكتاب المقدس , ص١٩٥ .

١٣٦- سفر الجامعة : ٥-٩ .

١٣٧- جان بوتيرو : بابل والكتاب المقدس , ص١٩٦ .

ثبت المصادر

- القرآن الكريم .

١- الأب يوسف حبي : كنيسة المشرق , المركز الأكاديمي للأبحاث , (بيروت/٢٠١٣م)

٢- أحمد ديب شعبو : في نقد الفكر الأسطوري والرمزي ، بحث منشور في مجلة الفكر العربي ، العدد (٨١) ، (بيروت/١٩٩٥م) .

٣- احمد كمال زكي : الأساطير دراسة حضارية مقارنة , دار العودة ، ط٢ (بيروت/١٩٧٩م) .

٤- آرثر كورتل : قاموس أساطير العالم ، ترجمة : سهى الطريحي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط١، (بيروت/١٩٩٣م) .

٥- أ . س. ميغوليفسكي : اسرار الآلهة والديانات ، ترجمة : حسان ميخائيل اسحق ، دار علاء الدين ، ط١ , (دمشق/٢٠٠٥م) .

٦- أليكسي لوسيف : فلسفة الأسطورة ، ترجمة : منذر بدر حلوم ، (دمشق/٢٠٠٠م) .

٧- بوهسلاف هروشكا وآخرون : الأساطير في حضارة وادي الرافدين ، ترجمة : عصام عبد اللطيف أحمد ، منشورات بيت الحكمة ، ط١ ، (بغداد/٢٠٠٠م) .

٨- جان بوتيرو : بابل والكتاب المقدس ، ترجمة : روز مخلوف ، دار كنعان للدراسات والنشر ، ط٢ ، (دمشق/٢٠٠٥م) .

٩- حسن فاضل جواد : حكمة الكلدانيين ، مراجعة وتقديم : يوسف حبي ، مطبعة الفرات ، ط١ ، (بغداد/٢٠٠١م) .

١٠- حسن نعمة : موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب ومعجم أهم المعبودات القديمة ، دار الفكر العربي،(بيروت/١٩٩٤م).

١١- خالد فؤاد طحطح : في فلسفة التاريخ ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، ط١ ، (بيروت/٢٠٠٩م) .

١٢- خزعل الماجدي : متون سومر ، المكتبة الأهلية ، ط١ ، (عمان/١٩٩٨م) .

١٣- خليل أحمد خليل : مضمون الأسطورة في الفكر العربي ، دار الطليعة للطباعة ، ط٢، (بيروت/١٩٩٣م) .

١٤- د . و . ج . بورج : تراث العالم القديم ، ترجمة : زكي موسى ، مراجعة : يحيى الخشاب وصقر خفاجة ، دار الكرنك للنشر ، (القاهرة/١٩٦٥م) .

١٥- سامي سعيد الأحمد : تاريخ اللغات الجزرية ، بحث ضمن كتاب حضارة الوطن العربي القديم اساساً للحضارة اليونانية منشورات بيت الحكمة ، (بغداد/٢٠٠٣م) .

١٦- سامي سعيد الأحمد : المعتقدات الدينية في العراق القديم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط١ ، (بغداد/١٩٨٢م) .

١٧- سامية مصطفى الخشاب : دراسات في الاجتماع الديني ، دار المعارف ، ط٢ ، (القاهرة/١٩٩٣م) .

١٨- سعدون محمد الساموك : مقارنة الأديان ، دار وائل للنشر والتوزيع ، ط١ ، (عمان/٢٠٠٤م) .

١٩- سميح دغيم : أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام ، دار الفكر العربي , (بيروت/د.ت) .

٢٠- سيد القمني : قصة الخلق أو منابع سفر التكوين ، المركز المصري لبحوث الحضارة ، (القاهرة/١٩٩٩م) .

٢١- صموئيل هنري هوك : الأساطير في بلاد ما بين النهرين ، ترجمة : يوسف داود عبد القادر ، دار الجمهورية ، (بغداد/١٩٦٨م) .

٢٢- صموئيل نوح كريمر : من ألواح سومر ، ترجمة : طه باقر ، مكتبة الخانجي ، (القاهرة/١٩٥٧م) .

٢٣- طه باقر : مقدمة في أدب العراق القديم , دار الحرية للطباعة ، ط١ ، (بغداد/١٩٧٦م) .

٢٤- عبد الباسط سيدا : من الوعي الأسطوري إلى بدايات التفكير الفلسفي النظري بلاد الرافدين تحديداً ، دار الحصاد ، ط١، (دمشق/١٩٩٥م) .

٢٥- عبد الحميد محمد : الأسطورة في بلاد الرافدين الخلق والتكوين ، دار علاء الدين ، ط١ ، (دمشق/١٩٩٨م) .

٢٦- عبد الرحمن الطعان : الفكر السياسي في وادي الرافدين ووادي النيل ، مطبعة جامعة بغداد ، (بغداد/١٩٨٥م) .

٢٧- عبد الكريم العلوجي : سرجون الأكدي ، دار الكتاب العربي ، ط١ ، (دمشق/٢٠١٠م) .

٢٨- عبد الوهاب عبد الرزاق الراوي : طوفان نوح بين الأساطير والآثار والقران ، دار علاء الدين ، ط١, (دمشق/٢٠١١م) .

٢٩- عماد الصباغ : الأحناف ، دار الحصاد للتوزيع والنشر ، ط١ ، (دمشق/١٩٨٨م) .

٣٠- فاضل عبد الواحد علي : من سومر إلى التوراة ، دار الشؤون الثقافية العامة , ط٢ ، (بغداد/١٩٩٦م) .

٣١- فراس السَّواح : الأسطورة والمعنى دراسة في المثيولوجيا والديانات الشرقية ، دار علاء الدين،(دمشق/د.ت) .

٣٢- فراس السَّواح : دين الإنسان ، دار علاء الدين ، ط٤ ، (دمشق/٢٠٠٢م) .

٣٣- فراس السَّواح : لغز عشتار الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة ، دار علاء الدين ، ط١، (دمشق/١٩٩٥م) .

٣٤- فراس السواح : مغامرة العقل الأولى ، دراسة في الأسطورة سوريا وبلاد الرافدين ، دار الكلمة ، ط٤ ، (بيروت/١٩٨٥م) .

٣٥- فوزي رشيد : الفكر عبر التاريخ ، سينا للنشر ، ط١ ، (القاهرة١٩٩٥م) .

٣٦- كلود ليفي شتراوس : بنية الأساطير : ترجمة : حسن قبيسي ، مجلة الفكر العربي ، العدد (٧٧) ، (بيروت/١٩٩٤م) .

٣٧- لويس معلوف : المنجد في اللغة والأدب والعلوم ، المطبعة الكاثوليكية ، ط٩ ، (بيروت/١٩٦٦م) .

٣٨- مجموعة من المؤلفين : ما قبل الفلسفة ، ترجمة : جبرا إبراهيم جبرا ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط٣ ، (بيروت/١٩٦٦م) .

٣٩- محمد أرغون : العلمنة والدين , دار الساقي , (لندن/١٩٩٠م) .

٤٠- مرسليا إلياد : أسطورة العود الأبدي ، ترجمة : نهاد خياط ، دار طلاس للدراسات والنشر ، (دمشق/د.ت) .

٤١- مرسليا إلياد : مظاهر الأسطورة ، ترجمة : نهاد خياط ، دار كنعان ، ط١ ، (دمشق/١٩٩١م) .

٤٢- مرسليا إلياد : المقدس والمدنس ، ترجمة : عبد الهادي عباس ، دار دمشق ، (دمشق/د.ت) .

٤٣- م.ف.ألبديل : سحر الأساطير , ترجمة : حسان ميخائيل اسحق , دار علاء الدين , ط١, (دمشق/٢٠٠٥م) .

٤٤- ابن منظور ، أبو الفضل محمد بن مكرم : لسان العرب , دار لسان العرب ، (بيروت/د.ت) .

٤٥- نبيلة إبراهيم : قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية ، دار العودة ، (بيروت/١٩٧١م) .

٤٦- هاشم يحيى الملاح وآخرون : دراسات في فلسفة التاريخ ، دار الكتب للطباعة والنشر ، (الموصل/١٩٨٨م) .